# سُورَةُ الحِجر
مكية
وآياتها تسع وتسعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ
وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا
مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٥﴾

## شرح الكلمات :

**آلـر** : الله أعلم بمراده بذلك، تُكتب آلر. ويقرأ: اِلفْ، لاَمْ، را.

**تلك آيات الكتاب** : الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف المقطعة تلك آيات الكتاب أي القرآن.

**يـود** : يحب ويرغب متمنياً أن لو كان من المسلمين.

**ويتمتعـوا** : أي بالملذات والشهوات.

**ويلههـم الأمـل** : أي بطول العمر وبلوغ الأوطار وإدراك الرغائب الدنيوية.

**إلا ولها كتابٌ معلوم** : أي أجل محدود لإهلاكها.

**ما تسبق من أمة أجلها** : أي لا يتقدم أجلها المحدد لها ومن زائدة للتأكيد.

## معنى الآيـات :

بما أن السورة مكية فإنها تعالج قضايا العقيدةوأعظمهاالتوحيد والنبوة والبعث. قوله تعالى: ﴿آلر﴾: الله أعلم بمراده به، ومن فوائد هذه الحروف المقطعة تنبيه السامع وشده بما يسمع من التلاوة، إذ كانوا يمنعون سماعه خشية التأثر به، فكانت هذه الفواتح التى لم يألفوا مثلها في كلامهم تشدهم إلى سماع ما بعدها من القرآن. وقوله: ﴿تلك آيات

الكتاب﴾[1] من الجائز القول: الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف الر، آلم، طسَ، حمَ عَسقَ. ﴿تلك آيات الكتاب وقرآنٍ مبين﴾ المبين: المبين للحق والباطل والهدى والضلال وقوله تعالى: ﴿ربما[2] يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾: يخبر تعالى أن يوماً سيأتي هو يوم القيامة عندما يرى الكافر المسلمين يدخلون الجنة ويدخل هو النار يود يومئذٍ متمنياً أن لو كان من[3] المسلمين. وقد يُحدث الله تعالى ظروفاً في الدنيا وأموراً يتمنى الكافر فيها لو كان من المسلمين. وقوله تعالى: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون﴾ أي اتركهم يا رسولنا، أي اترك الكافرين يأكلوا ما شاءوا من الأطعمة، ويتمتعوا بما حصل لهم من الشهوات والملذات، ويلههم الأمل عن التفكير في عاقبة أمرهم. إذ همهم طولُ أعمارهم، وتحقيق أوطارهم، فسوف يعلمون إذا رُدّوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون أنهم كانوا في الدنيا مخطئين بإعراضهم عن الحق ودعوة الحق والدين الحق وقوله: ﴿وما أهلكنا من[4] قرية﴾ أي من أهل قرية بعذاب الإبادة والاستئصال ﴿إلا ولها كتاب﴾، أي لها أجلٌ مكتوبٌ في كتابٍ محدد اليوم والساعة .وقوله: ﴿. . ما تسبق من أمةٍ أجلها وما يستأخرون﴾ أي بناءً على كتاب المقادير فإن أمة كتب الله هلاكها لا يمكن أن يتقدم هلاكها قبل ميقاته المحدد، ولا أن يستأخر عنه ولو ساعة. وفي هذا تهديدٌ وتخويف لأهل مكة وهم يحاربون دعوة الحق ورسول الحق لعل قريتهم قد كتب لها كتابٌ وحدد لها أجلٌ وهم لا يشعرون.

## هدايـة الآيـات

**من هداية الآيات:**

١ـ القرآن الكريم مبينٌ لكل ما يُحتاج إليه في إسعاد الإنسان وإكماله.

---

(١) لفظ الكتاب الذي هو القرآن أصبح علماً بالغلبة على القرآن العظيم الذي أنزل على محمد ﷺ وسمي بالكتاب لأنه مأمور بكتابته وحفظه فسمي بالكتاب قبل أن يكتب للأمر بذلك، والقرآن: اسم ثان للكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ والكتاب مشتق من الكتب الذي هو الجمع، والقرآن من القرء الذي هو الجمع أيضاً فهو تجمع حروفه وكلماته.

(٢) ربَّ: حرف جرّ يدخل على الأسماء، وإن أريد إدخالها على الأفعال لحقت بها (ما) كما في الآية. وقرأ نافع ﴿رُبَمَا﴾ بالتخفيف، وشدّدها غيره في هذه الآية ﴿ربما يودّ الذين كفروا. .﴾ الخ وأصل استعمالها في التقليل، وقد تستعمل في التكثير.

(٣) وقد ورد أنه لما يرى الكافرون وهم في النار اهل التوحيد يخرجون منها يودون لو كانوا موحدين، والكل وارد ولا مانع منه.

(٤) ﴿من﴾: صلة لتقوية النفي وتأكيد الخبر.

٢ـ إنذار الكافرين وتحذيرهم من مواصلة كفرهم وحربهم للإسلام فإن يوماً سيأتي يتمنون فيه أن لو كانوا مسلمين.

٣ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر فما من شيء إلا وسبق به علم الله وكتبه عنده في كتاب المقادير الحياة كالموت، والربح كالخسارة، والسعادة كالشقاء، جميع ما كان وما هو كائنٌ وما سيكون سبق به علم الله وكتب في اللوح المحفوظ.

وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ
ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ
إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾

## شرح الكلمات :

**نزل عليه الذكر** : أي القرآن الكريم.

**لو ما تأتينا بالملائكة** : أي هلا تأتينا بالملائكة تشهد لك أنك نبي الله.

**وما كانوا إذاً منظرين** : أي ممهلين، بل يأخذهم العذاب فور نزول الملائكة.

**إنا نحن نزلنا الذكر** : أي القرآن.

**في شيع الأولين** : أي في فرق وطوائف الأولين.

## معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ أي قال الكافرون المنكرون للوحي والنبوة ﴿إنك لمجنون﴾ أي غير عاقل وإلا لما ادعيت النبوة. وفي قولهم هذا استهزاء

ظاهر بالرسول ﷺ وهو ثمرة ظلمة الكفر التي في قلوبهم وقوله: ﴿لو ما تأتينا بالملائكة﴾[1] لو ما هنا بمعنى هلا التحضيضيه أي هلا تأتينا بالملائكة نراهم عياناً يشهدون لك بأنك رسول الله ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في دعواك النبوة والرسالة فأت بالملائكة تشهد لك. قال تعالى ﴿ما ننزل[2] الملائكة إلا بالحق﴾ أي نزولاً ملتبساً بالحق. أي لا تنزل الملائكة إلا لإحقاق الحق وإبطال الباطل لا لمجرد تشهي الناس ورغبتهم ولو نزلت الملائكة ولم يؤمنوا لنزل بهم العذاب فوراً ﴿وما كانوا إذاً منظرين[3]﴾ أي ممهلين بل يهلكون في الحال. وقوله تعالى في الآية (٩) ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ أي القرآن ﴿وإنا له لحافظون﴾ أي من الضياع ومن الزيادة والنقصان لأنه حجتنا على[4] خلقنا إلى يوم القيامة. أنزلنا الذكر هدى ورحمة وشفاء ونوراً. هم يريدون العذاب والله يريد الرحمة. مع أن القرآن نزلت به الملائكة، والملائكة إن نزلت ستعود الى السماء ولم يبق ما يدل على الرسالة إلا القرآن ولكن القوم لا يريدون أن يؤمنوا وليسوا في ذلك الكفر والعناد وحدهم بل سبقتهم طوائف وأمم أرسل فيهم فكذبوا وجاحدوا وهو قوله تعالى: ﴿ولقد[5] أرسلنا من قبلك في شيع[6] الأولين﴾ أي في فرقهم وأممهم ﴿وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به[7] يستهزئون﴾ لأن علة المرض واحدة إذاً فلا تيأس يا رسول الله ولا تحزن بل اصبر وانتظر وعد الله لك بالنصر فإن وعده حق: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي! إن الله قوي عزيز﴾.

---

(١) ﴿لوما﴾ كلولا، وهلاّ: حرف تحضيض على الفعل نحو: لو ما أكرمت عمراً ولولا أكرمت زيداً وهلا كذلك، وتأتي مع الخبر فلا يراد بها التحضيض نحو: لو ما خوف الله لقلت فيك كذا وكذا، قال الشاعر:

لو ما الحياء ولوما الدين عبتكما    ببعض ما فيكما إذ عبتما عَوَري

(٢) قرأ حفص: ﴿ما ننزل الملائكة﴾ وقرأ بعضهم ﴿ما تنزّل﴾ وقرأ ورش عن نافع ﴿ما تُنَزَّلُ﴾ بحذف احدى التائين تخفيفاً، إذ الأصل: تتنزّل.

(٣) أصل: إذاً: إذ أن، ومعناها حينئذ أي: تنزّلت الملائكة بإهلاكهم لما كانوا حينئذ منظرين أي: ممهلين ساعة من الزمن.

(٤) قالت العلماء: لما وكل الله تعالى حفظ التوراة والانجيل إلى أهل الكتاب في قوله ﴿بما استحفظوا من كتاب الله﴾ أضاعوه فزادوا فيه ونقصوا منه، ولمّا تولى الله تعالى حفظ القرآن، حفظه فلم يُزَدْ فيه حرف ولم يُنقص منه حرف.

(٥) ﴿ولقد أرسلنا﴾ الخ.. هذه الجملة إبطال لاستهزاء المشركين بالرسول ﷺ على طريقة التمثيل بأشياعهم من الأمم السابقة.

(٦) الشِيَع: جمع شيعة، وهي الفرقة المتآلفة المتفقة الكلمة، ومنه قوله تعالى ﴿أو يلبسكم شيعا﴾ أي: فرقاً كل فرقة تتآلف مع أفرادها، وتحارب عن مبادئها وأفكارها وما هي عليه من دين وعادة.

(٧) تقديم الجار والمجرور (به) على فعل يستهزئون: لإفادة القصر للمبالغة أي: كأنهم لفساد قلوبهم لا شغل لهم إلا الاستهزاء برسول الله عز وجل.

## هداية الآيـات

**من هداية الآيات :**

١ـ بيان ما كان يلقاه رسول الله ﷺ من استهزاء وسخرية من المشركين .

٢ـ مظهر من مظاهر رحمة الله بالإنسان، يطلب نزول العذاب والله ينزل الرحمة .

٣ـ بيان حفظ الله تعالى للقرآن الكريم من الزيادة والنقصان ومن الضياع .

٤ـ بيان سنة الله تعالى في الأمم والشعوب وهي أنهم ما يأتيهم من رسول ينكر عليهم مألوفهم ويدعوهم إلى جديد من الخير والهدى إلا وينكرون ويستهزئون .

كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي
قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ
﴿١٣﴾ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ
﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾
وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ
فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴿١٨﴾

**شـرح الكلمـات :**

**كذلك نسلكه** : أي التكذيب بالقرآن أو النبي ﷺ .

**وقد خلت سنة الأولين** : أي مضت سنة الأمم السابقة .

**فظلوا فيه يعرجون** : أي يصعدون .

**إنما سُكِّرت** : أي سدت كما يُسَكَّرُ النهر أو الباب .

**في السماء بروجا** : أي كواكب ينزلها الشمس والقمر.

**شيطان رجيم** : أي مرجومٌ بالشهب.

**شهاب مبين** : كوكب يُرجم به الشيطان يحرقه أو يمزقه أو يُخبلُهُ أي يفسده .

## معنى الآيـات :

مازال السياق في المكذبين للنبي المطالبين بنزول الملائكة لتشهد للرسول بنبوته حتى يؤمنوا بها. قال تعالى: ﴿كذلك نسلكه﴾[١] أي التكذيب في قلوب المجرمين من قومك، كما سلكناه حسب سنتنا في قلوب من كذبوا الرسل من قبلك فسلكه ﴿في قلوب المجرمين﴾ من قومك فلا يؤمنون بك ولا بالذكر الذي أنزل عليك. وقوله تعالى: ﴿وقد خلت سنة الأولين﴾[٢] أي مضت وهي تعذيب المكذبين للرسل المستهزئين بهم لأنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم. وقوله تعالى: ﴿ولو فتحنا عليهم[٣] باباً من السماء فظلوا﴾ أي الملائكة أو المكذبون ﴿فيه﴾ أي في ذلك الباب ﴿يعرجون﴾ أي يصعدون طوال النهار طالعين هابطين ولقالوا في المساء ﴿إنما سكرت أبصارنا﴾ أي منعت من النظر الحقيقي فلم نر الملائكة ولم نرى السماء ﴿بل نحن[٤] قوم مسحورون﴾ فأصبحنا نرى أشياء لا حقيقية لها، وقوله تعالى: ﴿ولقد جعلنا[٥] في السماء بروجا﴾ أي كواكب[٦] هي منازل للشمس والقمر ينزلان بها وعلى مقتضاها يعرف عدد السنين والحساب. وقوله: ﴿زيناها﴾ أي السماء بالنجوم ﴿للناظرين﴾ فيها من الناس. وقوله: ﴿وحفظناها﴾ أي السماء الدنيا ﴿من كل شيطانٍ رجيم﴾ أي مرجوم ملعون. وقوله: ﴿إلا من استرق السمع﴾ إلا مارد من الشياطين طلع إلى السماء لاستراق السمع من الملائكة لينزل بالخبر إلى وليه من الكهان من الناس ﴿فاتبعه شهاب﴾ من نار ﴿مبين﴾ أي يبين أثره في الشيطان إما بإخباله وإفساده وإما بإحراقه. هذه الآيات وهي قوله تعالى: ﴿ولقد جعلنا

---

(١) عود الضمير في ﴿نسلكه﴾ على القرآن أولى إذ السياق تابع لقوله: ﴿إنا نحن نزّلنا الذكر ولأنا له لحافظون﴾ وقوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك من شيع الأوّلين﴾ أي: أرسل فيهم رسلاً وكانوا يتلون عليهم آياتنا ولم ينتفعوا لإعراضهم عنها فلا تعيها قلوبهم ولا تدركها فُهو مُهم، ولا يتأثرون بها لوجود حوائل حالت دون ذلك، وهي الكبر والحسد والعناد وكذلك المسلك الذي سلكناه في قلوب الأولين نسلكه اليوم في قلوب المجرمين فيدخل القرآن عند سماعه إلى قلوبهم ولا يلامسها ولا يباشرها فلا تتأثر به وذلك لحوائل منها الحسد والعناد والكبر، وتلك سنّة الله تعالى في أمثالهم، وأصل السلك: إدخال الشيء في آخر.

(٢) في الآية تعريض للمجرمين بالهلاك.

(٣) هذه الآية كقوله تعالى: ﴿ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلاّ سحر مبين﴾.

(٤) أي: أضربوا عن القول الأوّل. وهو قولهم: إنّما سكّرت أبصارنا إلى قولهم بل نحن قوم مسحورون. أي ما رأينا شيئا ثم أقرّوا بأنهم رأوا ولكن ما رأوه إنما هو تخيلات المسحور لاغير.

(٥) هذا شروع في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته الموجبة للتوحيد والمقررة للبعث والجزاء.

(٦) هذا كقوله تعالى: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾ أي: كواكب.

في السماء بروجاً﴾ إلى آخر ما جاء في هذا السياق الطويل، القصد منه إظهار قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته وكلها مقتضية لإرسال الرسول وإنزال الكتاب لهداية الناس إلى عبادة ربهم وحده عبادة يكملون عليها ويسعدون في الدنيا والآخرة، ولكن المكذبين لا يعلمون.

## هداية الآيـات

**من هداية الآيات :**

١ـ بيان سنة الله تعالى في المكذبين المعاندين وهي أنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم.

٢ـ مطالبة المكذبين المجرمين بالآيات كرؤية الملائكة لا معنى لها إذ القرآن أكبر آية ولم يؤمنوا به فلذا لو فتح باب من السماء فظلوا فيه يعرجون لما آمنوا.

٣ـ بيان مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته فيما حملت الآيات من مظاهر لذلك، بدءاً من قوله: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً[1]﴾ إلى الآية السابعة والعشرين من هذا السياق الكريم.

وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا
مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا
خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ
لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ

(١) البروج: جمع برج وهو في الأصل البناء الكبير المحكم البناء الذي يظهر من بعيد قال تعالى: ﴿ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ أي: قصور ظاهرة، ومنه: المرأة تتبرّج بزينتها: أي تظهرها، والمراد من البروج في الآية: كواكب ثابتة غير سيارة هي منازل الشمس والقمر، وسمى هذه البروج العرب بأسماء تخيلوا أشكالها في السماء وهي: برج الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، ابتداء من فصل الربيع وانتهاء بفصل الشتاء.

بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

## شرح الكلمات :

**والأرض مددناها** : أي بسطناها.

**وألقينا فيها رواسي** : أي جبالاً ثوابت لئلا تتحرك الأرض.

**موزون** : أي مقدر معلوم المقدار لله تعالى.

**معايش** : جمع معيشة أي ما يعيش عليه الإنسان من الأغذية.

**ومن لستم له برازقين** : كالعبيد والإماء والبهائم.

**وما ننزله إلا بقدَر معلوم** : أي المطر.

**وأرسلنا الرياح لواقح** : أي تلقح السحاب فيمتلىء ماءً، كما تنقل مادة اللقاح من ذكر الشجر إلى أنثاه.

**وما أنتم له بخازنين** : أي لا تملكون خزائنه فتمنعونه أو تعطونه من تشاءون.

**المستقدمين منكم والمستأخرين** : أي من هلكوا من بني آدم إلى يومكم هذا والمستأخرين ممن هم أحياء وممن لم يوجدوا بعد إلى يوم القيامة.

## معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وهي موجبات الإيمان به وعبادته وتوحيده والتقرب إليه بفعل محابه وترك مساخطه.[1] قوله تعالى: ﴿والأرض[2] مددناها﴾ أي بسطناها ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ أي جبالاً ثوابت تثبت الأرض حتى لا

(١) وموجبة أيضاً للبعث الآخر والوحي الإلهي.
(٢) هنا انتقال من عرض آيات الله في السماء إلى آياته في الأرض.

تتحـرك أو تميد بأهلهـا فيهلكوا، ﴿وأنبتنا فيها من كل شيءٍ موزون﴾[1] أي مقدر معلوم المقدار لله تعالى. وقوله: ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾[2] عليها تعيشون وهي أنواع الحبوب والثمار وغيرها، وقوله: ﴿ومن لستم له برازقين﴾[3] بل الله تعالى هو الذي يرزقه وإياكم من العبيد والإماء والبهائم. وقوله: ﴿وإن من شيء[4] إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدرٍ معلوم﴾ أي ما من شيء نافع للبشرية هي في حاجة إليه لقوام حياتها عليه إلا عند الله خزائنه، ومن ذلك الأمطار، لكن ينزله بقدرٍ معلوم حسب حاجة المخلوقات وما تتوقف عليه مصالحها، وهو كقوله: ﴿بيده الخير وهو على كل شيء قدير﴾ وكقوله: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغـوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما شاء الله إنه بعباده خبيرٌ بصير﴾ وقوله: ﴿وأرسلنا الرياح لقواح﴾[5] أي تلقح السحاب فتمتلىء ماء، ﴿فأنزلنا من السماء ماء﴾ بقدرتنا وتدبيرنا ﴿فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾ أي لا تملكون خزائنه فتمنعونه من تشاءون وتعطونه من تشـاءون بل الله تعالى هو المالك لذلك، فينزله على أرض قومٍ ويمنعه آخرين. وقـوله: ﴿إنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون، ولقد علمنا المستقدمين[6] منكم﴾ أي الـذين ماتـوا من لدن آدم ﴿ولقد علمنا المستأخرين﴾ ممن هم أحياء ومن لم يوجدوا وسيوجدون ويموتون إلى يوم القيامة، الجميع عَلِمَهُم الله، وغيره لا يعلم فلذا استحق العبادة وغيره لا يستحقها. وقوله ﴿وإن ربك﴾ أيها الرسول ﴿هو يحشرهم﴾ أي إليه يوم القيامة ليحاسبهم ويجازيهم، وهذا متوقفٌ على القدرة والحكمة والعلم، والذي أحياهم ثم أماتهم قادرٌ على إحيائهم مرةً أخرى والذي عَلِمَهُمْ قبل خلقهم وعلمهم بعد خلقهم

---

(١) قال: ﴿موزون﴾: لأنّ الوزن يعرف به مقدار الشيء، والموزون من الكلام وغيره الخالي من النقص والزيادة، والمراد أنّ ما أنبته الله تعالى في الأرض من سائر النباتات والمعادن من الذهب والفضة والنحاس والرصاص والقصدير حتى الزرنيخ والكحل كل ذلك يكال ويوزن.

(٢) واحد المعايش: معيشة، وهي المطاعم والمشارب والملابس والمراكب أيضاً، إذ كل هذا يدخل تحت العيش حتى قيل: المعايش: إنها التصرف في أسباب الرزق مدّة الحياة.

(٣) الرزق: بفتح الراء مصدر رزقه يرزقه رزقاً، والرّزق بكسر الراء فهو الاسم وهو القوت.

(٤)أي: نافع للناس لا مطلق الأشياء التي لا نفع للناس فيها.

(٥) في قوله: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ استدلال بظاهرة كرة الهواء بين السماء والأرض بعد الاستدلال بالسماء والأرض، ولواقح حال من الرياح ولواقح صالح لأن يكون جمع لاقح، وهي الناقة الحبلى أو ملقح وهو الذي يجعل غيره لاقحاً.

(٦) ويدخل في معنى الآية المستقدمين في الطاعة والخير، والمستأخرين في المعصية والشر كما يدخل أيضاً المستقدمين في صفوف الحرب والصلاة، والمستأخرين في ذلك، والآية دليل على فضل السبق في الخير وعلى فضل الصف الأول في القتال والصلاة، وفي الحديث الصحيح: (لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا).

قادرٌ على حشرهم والحكيم الذى يضع كل شيء في موضعه لا يخلقهم عبثاً بل خلقهم ليبلوهم ثم ليحاسبهم ويجزيهم إنه هو الحكيم العليم .

## هداية الآيات

**من هداية الآيات :**

١ـ بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته المتجلية فيما يلى :

أـ خلق الأرض ومدّها وإلقاء الجبال فيها . إرسال الرياح لواقح للسحب .

ب ـ إنبات النباتات بموازين دقيقة . إحياء المخلوقات ثم إماتتها .

ج ـ إنزال المطر بمقادير معينة . علمه تعالى بمن مات ومن سيموت .

٢ـ تقرير التوحيد أن من هذه آثار قدرته هو الواجب أن يعبد وحده دون سواه .

٣ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء .

٤ـ تقرير نبوة الرسول ﷺ إذ هذا الكلام كلام الله أوحاه إليه ﷺ .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ
مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ
ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَـرًا مِّن
صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن
رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن
لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾

**شرح الكلمات :**

ولقد خلقنا الإنسان : أي آدم عليه السلام .

من صلصالٍ من حمإ مسنون : أي طين يابس له صلصلة من حمإ أي طين أسود متغير.

من نار السموم : نار لا دخان لها تنفذ في المسام وهي ثقب الجلد البشري.

فإذا سـويته : أي أتممت خلقه.

فقعوا له ساجدين : أي خِرّوا له ساجدين.

## معنى الآيـات :

ما زال السياق في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته. قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ أي آدم ﴿من صلصال﴾ أي طين يابس يسمع له صوت صلصلة. ﴿من حمإ مسنون[1]﴾ أي طين أسود متغير الريح، هذا مظهر من مظاهر القدرة والعلم. وقوله: ﴿والجـان خلقنـاه من قبـل﴾ من قبل خلق آدم والجان هو[2] أبو الجن خلقناه ﴿من نار السموم﴾ ونار السموم نار لا دخان لها تنفذ في مسام الجسم.. وقوله: ﴿وإذ قال ربك﴾ أي اذكر يا رسولنا إذ قال ربك للملائكة اسجدوا لآدم أي سجود تحيةٍ وتعظيم لا سجود عبادةٍ لآدم، إذ المعبود هو الآمر المطاع وهو الله تعالى. فسجدوا ﴿إلا إبليس[3] أبى﴾ أي امتنع أن يكون مع الساجدين. وقوله: ﴿قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين﴾ أي أيُّ شيء حصل لك حتى امتنعت أن تكون من جملة الساجدين من الملائكة؟ فأظهر اللعين سبب امتناعه وهو حسده لآدم واستكباره، فقال ﴿لم أكن لأسجد لبشرٍ خلقته من صلصالٍ من حماءٍ مسنون). وفي الآيات التالية جواب الله تعالى ورده عليه.

## هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ ـ بيان أصل خلق الإنسان وهو الطين، والجان وهو لهب النار.

٢ ـ فضـل السجود، إذ أمر تعالى به الملائكة فسجدوا أجمعون إلا إبليس.

---

(١) ترتيب طينة آدم التي خلق منها كما في الآية هكذا: تراب بلّ بالماء فصار طينا ثمّ ترك حتى أنتن فصار حمأ مسنوناً أي: متغيّرا ثمّ يبس فصار صلصالا والمسنون: المتغيّر، بسبب مكثه مدّة كسنة مثلا.

(٢) وفي صحيح مسلم قوله ﷺ: (خلقت الملائكة من نور، وخلقت الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم).

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: الجان: أبو الجن وليسوا شياطين، والشياطين ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس، والجنّ يموتون، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر فآدم أبو الإنس، والجان أبو الجن، وإبليس أبو الشياطين.

٣ـ ذم الحسد وأنه شر الذنوب وأكثرها ضرراً.
٤ـ ذم الكبر وأنه عائق لصاحبه عن الكمال في الدنيا والسعادة في الآخرة.
٥ـ فضل الطين على النار لأن من الطين خلق آدم ومن النار خلق إبليس.

قَالَ
فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ
أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾
إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ
مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾

## شرح الكلمات :

**قال فاخرج منها** : أي من الجنة.

**فإنك رجيم** : أي مرجومٌ مطرودٌ ملعون.

**إلىٰ يوم الوقت المعلوم** : أي وقت النفخة الأولى التي تموت فيها الخلائق كلها.

**بما أغويتني** : أي بسبب إغوائك لي أي إضلالك وإفسادك لي.

**المخلصين** : أي الذين استخلصتهم لطاعتك فإن كيدي لا يعمل فيهم.

**هذا صراطٌ علي مستقيم** : أي هذا طريقٌ مستقيم موصل إليَّ وعليَّ مراعاته وحفظه.

**لها سبعة أبواب** : أي أبواب طبقاتها السبع التي هي جهنم، ثم لظى، ثم الحُطمة، ثم السعير، ثم سَقَر، ثم الجحيم، ثم الهاوية.

## معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿فاخرج منها﴾ هذا جوابٌ عن قول إبليس، ﴿لم أكن لأسجد لبشر﴾. الآية إذاً فاخرج منها أي من الجنة ﴿فإنك رجيم﴾ أي مرجوم مطرود مُبعد، ﴿وإن عليك﴾ لعنتي أي غضبي وإبعادي لك من السموات ﴿إلى يوم الدين﴾ أي إلى يوم القيامة وهو يوم الجزاء. فقال اللعين ما أخبر تعالى به عنه: ﴿قال رب فانظرني﴾ أي أمهلني لا تُمِتني ﴿إلى يوم يبعثون﴾[1] فأجاب الرب تعالى بقوله: ﴿فإنك من المنظرين﴾ أي الممهلين ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾[2] وهو فناء بني آدم حيث لم يبق منهم أحد وذلك عند النفخة الأولى. فلما سمع اللعين ما حكم به الرب تعالى عليه قال ما أخبر الله عنه بقوله: ﴿قال رب بما أغويتني﴾ أي بسبب إغوائك ﴿لأزينن لهم في الأرض﴾[3] أي الكفر والشرك وكبائر الذنوب، و ﴿لأغوينهم﴾ أي لأضلنّهم ﴿أجمعين﴾ إلا عبادك منهم المخلصين﴾ فاستثنى اللعين من استخلصهم الله تعالى لطاعته وأكرمهم بولايته وهم الذين لا يَسْتَبِدُّ بهم غضبٌ ولا تتحكم فيهم شهوة ولا هوى. وقوله تعالى: ﴿قال هذا صراط علي مستقيم﴾ أي هذا طريق مستقيم إليَّ أرعاه وأحفظه وهو ﴿إن عبادي[4] ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾[5] ﴿وإن جهنم﴾ لموعدك وموعد أتباعك الغاوين أجمعين ﴿لها سبعة أبواب﴾ إذ هي سبع طبقات لكل طبقة باب فوقها يدخل معه أهل تلك الطبقة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿لكل بابٍ منهم جزء مقسوم﴾ أي نصيبٌ معين وطبقاتها هي: جهنم، لظى، الحطمة، السعير، سقر، الجحيم، الهاوية.

## هداية الآيات

### من هداية الآيات :

١ـ حرمان إبليس من التوبة لاستمرار غضب الله عليه إلى يوم القيامة.

٢ـ استجاب الله لشر خلقه وهو إبليس فمن الجائز ان يستجيب الله دعاء الكافر لحكمة يريدها الله تعالى.

---

(١) أراد اللعين بسؤاله إلى يوم يبعثون ألّا يموت، لأنّ يوم البعث لا موت فيه ولا بعده أيضاً.

(٢) قال ابن عباس: أراد به النفخة الأولى أي: حين تموت الخلائق.

(٣) التزيين: يشمل أمرين. الأول: تزيين المعاصي والثاني: شغلهم بزينة الدنيا عن فعل الطاعات.

(٤) أي: ليس له سلطان على قلوبهم، وقال ابن عيينة، أي: في أن يلقيهم في ذنب.

(٥) الغاوين: الفاسدين بالشرك والمعاصي.

٣ـ أمضى سلاح يغوي به إبليس بني آدم هو التزين للأشياء حتى ولو كانت دميمة قبيحة يصيرها بوسواسه زينة حسنة حتى **يأتيها الأدمي**.

٤ـ عصمة الرسل وحفظ الله للأولياء حتى **لا** يتلوثوا بأوضار الذنوب.

٥ـ طريق الله مستقيم إلى الله تعالى يسلكه الناس حتى ينتهوا إلى الله سبحانه فيحاسبهم ويجزيهم بكسبهم الخير بالخير والشر بالشر.

٦ـ بيان أن لجهنم طبقات واحدة فوق أخرى ولكل طبقةٍ بابها فوقها يدخل معه أهل تلك الطبقة لا غير.

إِنَّ
ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾
۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى
هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾
إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟
لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن
مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ
رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾

**شرح الكلمات:**

**إن المتقين** : أي الذين خافوا ربهم فعبدوه وحده بما شرع لهم من العبادات.

**ونزعنا ما في صدورهم من غل** : أي حقد وحسد وعداوة وبغضاء.

**على سرر متقابلين** : أي ينظر بعضهم إلى بعض ما داموا جالسين وإذا انصرفوا دارت بهم الأسرة فلا ينظر بعضهم إلى قفا بعض.

**لا يمسهم فيها نصب** : أي تعب.

**العذاب الأليم** : أي الموجع شديد الإيجاع.

**ضيف إبراهيم** : هم ملائكة نزلوا عليه وهم في طريقهم إلى قوم لوط لإهلاكهم كان من بينهم جبريل وكانوا في صورة شباب من الناس.

**إنا منكم وجلون** : أي خائفون وذلك لمَّا رفضوا أن يأكلوا.

**بغلام عليم** : أي بولد ذي علم كثير هو إسحق عليه السلام.

**فيم تبشرون** : أي تَعَجَّبَ من بشارتهم مع كبره بولد.

**من القانطين** : أي الآيسين.

## معنى الآيات :

لما ذكر تعالى جزاء اتباع إبليس الغاوين، ناسب ذكر جزاء عباد الرحمن أهل التقوى والإيمان فقال تعالى مخبراً عما أعد لهم من نعيم مقيم: ﴿إن المتقين﴾[1] أي الله بترك الشرك والمعاصي ﴿في جناتٍ وعيون﴾[2] يقال لهم ﴿ادخلوها بسلامٍ[3] آمنين﴾ أي حال كونكم مصحوبين بالسلام آمنين من الخوف والفزع. وقوله: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾[4] أي لم يُبقِ الله تعالى في صدور أهل الجنة ما ينغصُ نعيمها، أو يكدر صفوها كحقدٍ أو حسدٍ أو عداوةٍ أو شحناء. وقوله: ﴿إخواناً على سررٍ متقابلين﴾ لما طهر صدورهم مما

---

(١) روي أن سلمان الفارسي رضي الله عنه لما سمع هذه الآية: ﴿إنَّ جهنم لموعدهم أجمعين﴾ فرّ ثلاثة أيام من الخوف فجيء به إلى رسول الله ﷺ فسأله فقال: يا رسول الله أنزلت هذه الآية: ﴿إن جهنم...﴾ الخ فوالذي بعثك بالحق لقد قطّعت قلبي فأنزل الله تعالى: ﴿إنَّ المتقين في جنات وعيون﴾.

(٢) هي الأنهار الأربعة: ماء، وخمر، ولبن، وعسل المذكورة في سورة محمد ﷺ.

(٣) بسلامة من كل داء وآفة، وقيل: بتحية من الله تعالى آمنين من الموت والعذاب.

(٤) قال ابن عباس: أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان فيشربون من إحدى العينين فيذُهب الله ما في قلوبهم من غل ثم يدخلون العين الأخرى فيغتسلون فيها فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم وتجري عليهم نضرة النعيم.

من شأنه أن ينغص أو يكدر، أصبحوا في المحبة لبعضهم بعضاً إخوانا يضمهم مجلسٌ واحد يجلسون فيه على سررٍ متقابلين وجهاً لوجه، وإذا أرادوا الإنصراف إلى قصورهم تدور بهم الأسرة فلا ينظر أحدهم إلى قفا أخيه. وقوله تعالى: ﴿لا يمسهم فيها نصبٌ وما هم منها بمخرجين﴾ فيه الإخبار بنعيمين: نعيم الراحة الأبدية إذ لا نصب ولا تعب في الجنة ونعيم البقاء والخلد فيها إذ هم لا يخرجون منها أبداً. وفي هذا تقرير لمُعْتَقَدِ البعث والجزاء بأبلغ عبارةٍ وأوضحها. وقوله تعالى: ﴿نبىء عبادي[1] اني أنا الغفور الرحيم﴾ أي خبر يا رسولنا عبادنا المؤمنين الموحدين أن ربهم غفور لهم إن عصوه وتابوا من معصيتهم. رحيم بهم فلايعذبهم. ﴿وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ ونبئهم أيضاً أن عذابى هو العذاب الأليم فليحذروا معصيتي بالشرك بي، أو مخالفة أوامري وغشيان محارمي. وقوله تعالى: ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم[2]. إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما﴾ أي سلموا عليه فرد عليهم السلام وقدم لهم قِرَى الضيف وكان عجلاً حنيذا،كما تقدم في هود وعرض عليهم الأكل فامتنعوا وهنا قال: ﴿إنا منكم وجلون[3]﴾ أي خائفون، وكانوا جبريل وميكائيل وإسرافيل في صورةٍ لشباب حسان. فلما أخبرهم بخوفه منهم، لأن العادة أن النازل على الإنسان إذا لم يأكل طعامه دل على ذلك على أنه يريد به سوءً. ﴿قالوا لا توجل﴾ أي لا تخف، ﴿إنا نبشرك بغلامٍ عليم﴾ أي بولدٍ ذي علم كثير. فرد إبراهيم قائلا بما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿قال أبشرتموني على أن مسنى[4] الكبر فبمَ[5] تبشرون﴾ أي هذه البشارة بالولد على كبر سني أمر عجيب، فلما تعجب من البشارة وظهرت عليه علامات الشك والتردد في صحة الخبر قالوا له: ﴿بشرناك[6] بالحق فلا تكن من القانطين[7]﴾ أي

---

(١) شاهد هذه الآية قوله ﷺ: (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنّته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أحد).

(٢) هم الملائكة الذين بشروه بالولد وبهلاك قوم لوط: هم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام. والضيف: لفظ يطلق على الواحد والاثنين والجماعة.

(٣) قال هذا بعد أن قرّب إليهم العجل المشوي ليأكلوا فلم يأكلوا.

(٤) أن: مصدرية، والتقدير: على مسّ الكبر إياي وزوجتي.

(٥) الاستفهام للتعجب أو هو على حقيقته.

(٦) أي: بما لا خلف فيه، وأن الولد لابدّ منه.

(٧) قراءة العامة: ﴿القانطين﴾، وقرىء القنطين بدون ألف، ويكون الفعل حينئذ من قنِط يقنط كفرح يفرح فهو فرح، وعلى قراءة الجمهور فهو من باب فعل يفعل كضرب يضرب فهو ضارب.

الآيسين. وهنا رد عليهم قائلاً نافياً القنوط عنه لأن القنوط حرام. ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ أي الكافرون بقدرة الله ورحمته لجهلهم بربهم وصفاته المتجلية في رحمته لهم وإنعامه عليهم.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات:**

١ـ تقرير نعيم الجنة، وأن نعيمها جسماني روحاني معاً دائم أبداً.

٢ـ صفاء نعيم الجنة من كل ما ينغصه أو يكدره.

٣ـ وعد الله بالمغفرة لمن تاب من أهل الإيمان والتقوى من موحديه.

٤ـ وعيده لأهل معاصيه إذا لم يتوبوا إليه قبل موتهم.

٥ـ مشروعية الضيافة وأنها من خلال البر والكرم.

٦ـ حرمة القنوط واليأس من رحمة الله تعالى.

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ
﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ
ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ
وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ
دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾

## شرح الكلمات :

| | |
|---|---|
| **قال فما خطبكم** | : أي ما شأنكم؟ |
| **إلى قوم مجرمين** | : هم قوم لوط عليه السلام. |
| **إنا لمنجوهم أجمعين** | : أي لإيمانهم وصالح أعمالهم. |
| **الغابرين** | : أي الباقين في العذاب. |
| **قوم منكرون** | : أي لا أعرفكم. |
| **بما كانوا فيه يمترون** | : أي بالعذاب الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم |
| **حيث تؤمرون** | : أي إلى الشام حيث أمروا بالخروج إليه. |
| **وقضينا إليه ذلك الأمر** | : أي فرغنا إلى لوط من ذلك الأمر، وأوحينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين. |

## معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن ضيف إبراهيم، وها هو ذا قد سألهم بما أخبر به تعالى عنه بقوله: ﴿قال فما خطبكم[1] أيها المرسلون﴾ أي ما شأنكم أيها المرسلون من قبل الله تعالى إذ هم ملائكته؟ ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين[2]﴾ أي على أنفسهم، وعلى غيرهم وهم اللوطيون لعنهم الله. وقوله تعالى: ﴿إلا آل لوط﴾ أي آل بيته والمؤمنين معه، ﴿إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته قدرنا﴾ أي قضينا[3] ﴿إنها لمن الغابرين﴾ أي الباقين في العذاب، أي قضى الله وحكم بإهلاكها في جملة من يهلك لأنها كافرة مثلهم. إلى هنا انتهى الحديث مع إبراهيم وانتقلوا الى مدينة لوط عليه السلام قال تعالى ﴿فلما جاء آل لوط المرسلون﴾ أي انتهوا إليهم ودخلوا عليهم الدار قال لوط عليه السلام لهم ﴿إنكم قوم منكرون﴾ أي لا أعرفكم وأجابوه قائلين: نحن رسل ربك جئناك بما كان قومك فيه يمترون أي يشكون وهو عذابهم العاجل جزاء كفرهم وإجرامهم، ﴿وأتيناك بالحق﴾ الثابت الذى لا شك فيه ﴿وإنا لصادقون﴾ فيما أخبرناك به وهو عذاب قومه المجرمين.

---

(١) الخطب: الأمر الخطير والشأن العظيم.

(٢) في الكلام إضمار جملة ﴿لنُهلكهم﴾ فلذا كان الاستثناء إلا آل لوط، وهم أتباعه وأهل بيته.

(٣) وكتبنا في كتاب المقادير.

وعليه ﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل﴾ أي أسر بهم في جزء من الليل، و ﴿اتبع أدبارهم﴾ أي امش وراءهم[1] وهم أمامك ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ بأن ينظر وراءه، أي حتى[2] لا يرى ما يسوءه عند نزول العذاب بالمجرمين، وقوله ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ أي يأمركم ربكم وقد أمروا بالذهاب إلى الشام. وقوله تعالى: ﴿وقضينا[3] إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾[4] أي وفرغنا إلى لوط من ذلك الأمر، وأوحينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين، أي أنهم مُهلكون عن آخرهم في الصباح الباكر ما أن يطلع الصباح حتى تُقلب بهم الأرض ويهلكوا عن آخرهم.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات:**

**١ـ التنديد بالإجرام وبيان عقوبة المجرمين.**

**٢ـ لا قيمة للنسب ولا للمصاهرة ولا عبرة بالقرابة إذا فصل الكفر والإجرام بين الأنساب والأقرباء فامرأة لوط هلكت مع الهالكين ولم يشفع لها أنها زوجة نبي ورسول عليه السلام.**

**٣ـ مشروعية المشي بالليل لقطع المسافات البعيدة.**

**٤ـ مشروعية مشي المسئول وكبير القوم وراء الجيش والقافلة لتفقد أحوالهم، والاطلاع على من يتخلف منهم لأمر، وكذا كان رسول الله ﷺ يفعل.**

**٥ـ كراهية الإشفاق على الظلمة الهالكين، لقوله: ولا يلتفت منكم أحد أى: بقلبه.**

وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟

---

(١) لئلا يتخلّف منهم أحد فيهلك مع الهالكين.

(٢) أو نهوا عن الالتفات ليجدّوا في السير ويتباعدوا عن القرية قبل أن يفاجئهم الصبح موعد هلاك القوم.

(٣) قضينا: قدرنا، وضمن معنى أوحينا فعدي بإلى، والتقدير: وقضينا ذلك الأمر فأوحينا إليه بما قضينا، وجملة: ﴿أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾. مفسرة لذلك الأمر والإشارة للتهويل.

(٤) ﴿مصبحين﴾ أي: داخلين في الصباح، ومثله، مشرقين أي: داخلين في وقت الإشراق.

ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾
قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ
يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾
فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾

شـرح الكلـمات :

وجاء أهل المدينة يستبشرون : أي مدينة سدُوم، أي فرحين بإتيانهم الفاحشة.

واتقوا الله ولا تخزون : أي لا تذلوني في انتهاك حرمة ضيفي.

أولم ننهك عن العالمين : أي عن إجارتك لهم واستضافتك.

لفي سكرتهم يعمهون : أي غوايتهم، وشدة غُلْمتهم[1] التي أزالت عقولهم، يترددون.

مشرقين : أي وقت شروق الشمس.

من سجيل : أي طين طُبِخَ بالنار.

لآيات للمتوسمين : أي الناظرين المعتبرين.

لبسبيل مقيم : أي طريق قريش إلى الشام مقيم دائم ثابت.

أصحاب الأيكة : أي قوم شعيب عليه السلام، والأيكة غيضة شجر بقرب مدين.

وإنهما لبإمام مبين : أي قوم لوط، وأصحاب الأيكة لبطريق مبين واضح.

معنى الآيـات :

مازال السياق مع لوط عليه السلام وضيفه من الملائكة من جهة، وقوم لوط من جهة.

(١) الغُلْمة: شدّة الشهوة الجنسية.

قال تعالى: ﴿وجاء أهل المدينة﴾ أي مدينة سدُوم وأهلها سكانها من اللوطيين، وقوله ﴿يستبشرون﴾ أي فرحين مسرورين لطمعهم في اتيان الفاحشة. فقال لهم لوط ما أخبر الله تعالى به: ﴿قال إن هؤلاء﴾ يشير إلى الملائكة ﴿ضيفي فلا تفضحون﴾ أي فيه أي بطلبكم الفاحشة، ﴿واتقوا الله﴾ أي خافوه ﴿ولا تخزون﴾ أي تهينوني وتذلوني. فأجابوا بما أخبر تعالى به عنهم: ﴿قالوا أولم ننهك عن العالمين﴾ أي أتقول ما تقول ولم تذكر أنا نهيناك عن استضافة أحد من الناس أو تجيره، فأجابهم لوط عليه السلام بما أخبر تعالى به عنه: ﴿قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين﴾ أي هؤلاء بناتي فتزوجوهن إن كنتم فاعلين ما آمركم به أو أرشدكم إليه. وقوله تعالى: ﴿لعمرك[1] إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ أي وحياتك يا رسولنا، إنهم أي قوم لوط ﴿لفي سكرتهم﴾ غوايتهم التي أذهبت عقولهم فهبطوا إلى درك أسفل من درك الحيوان، ﴿يعمهون﴾ أي حيارى يترددون. ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾ أي صيحة جبريل عليه السلام مشرقين مع إشراق الشمس. وقوله تعالى ﴿فجعلنا عاليها سالفها﴾ أي جعلنا عالي المدن سافلها وهو قلبها ظهراً على بطن، ﴿وأمطرنا عليهم﴾ فوق ذلك ﴿حجارة من سجيل﴾ أي من طين مطبوخ بالنار. وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين[2]﴾ أي إن في ذلك المذكور من تدمير مدن كاملة بما فيها لآيات وعبر وعظات للمتوسمين أي الناظرين نظر تفكر وتأمل لمعرفة الأشياء بسماتها وعلاماتها. وقوله تعالى: ﴿وإنها لسبيل مقيم﴾ أي وإن تلك القرى الهالكة لبطريق ثابت باق يمر به أهل مكة في أسفارهم إلى الشام. وقوله: ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ أي لعبرة للمؤمنين فلا يقدمون على محارم الله، ولا يرتكبون معاصيه. وقوله تعالى: ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾. هذه إشارة خاطفة إلى قصة شعيب عليه السلام مع قومه أصحاب الأيكة، والأيكة الفيضة من الشجر الملتف. وكانت منازلهم

---

(١) هذا الإقسام بحياة النبي ﷺ تشريفاً له، وأصل عمرك بضم العين وفتحت لكثرة الاستعمال، وجائز أن يكون القسم بحياة لوط أيضاً، وليس لأحد أن يجيز القسم بغير الله محتجاً بهذا القسم الإلهي فإنّ لله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه، فقد أقسم بالشمس وضحاها، وأقسم بالسماء والليل وغيرها من مخلوقاته ولا اعتراض عليه وأما العباد فقد أعلن الرسول ﷺ عن حرمة الحلف بغير الله فقد قال: (من حلف بغير الله فقد أشرك) رواه الترمذي.

(٢) روي أن النبي ﷺ فسر المتوسمين بالمتفرسين إذ قال: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ: إنّ في ذلك لآيات للمتوسمين) رواه الترمذي واستغربه، وقيل: للناظرين كما قال الشاعر:

أو كلما وردت عكاظ قبلية بعثوا إليّ عريفهم يتوسّم

وأصل التوسم: النظر بتثبّت وتفكر وعليه فما ورد في التوسم من النظر والتفرس كله متقارب المعنى.

بها وكانوا مشركين وهو الظلم في قوله ﴿وإن كان أصحاب الأيكة[1] لظالمين﴾ لأنفسهم بعبادة غير الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿فانتقمنا منهم﴾ أي أهلكناهم بحر شديد يوم الظله وسيأتي الحديث عنهم في سورة الشعراء قال تعالى هناك فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم. وقوله: ﴿وإنهما لبإمام مبين﴾ الإمام الطريق لأن الناس يمشون فيه وهو أمامهم، ومبين واضح. والضمير في قوله وإنهما عائد على قوم لوط، وقوم شعيب وهم أصحاب الأيكة لا أصحاب مدين لأنه أرسل إلى أصحاب الأيكة والى أهل مدين، والطريق طريق قريش إلى الشام، والقصد من ذكر هذا وعظ قريش وتذكرهم، فهل يتعظون ويتذكرون؟

### هداية الآيات

**من هداية الآيات:**

١- بيان إهلاك قوم لوط.

٢- إنكار الفاحشة وأنها أقبح فاحشة تعرفها الإنسانية هي إتيان الذكور.

٣- بيان دفاع لوط عليه السلام عن ضيفه حتى فداهم ببناته.

٤- شرف النبي صلى الله عليه وسلم حيث أقسم الله تعالى بحياته في قوله ﴿لعمرك﴾.

٥- الحث على نظر التفكر والإعتبار والتفرس فإنه أنفع للعقل البشري.

٦- بيان نقمة الله تعالى من الظالمين للاعتبار والإتعاظ.

٧- تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم إذ مثل هذه الأخبار لن تكون إلا عن وحي إلهي.

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ
ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾

(١) جمع الأيكة وهي جماعة الشجر الأيك، أو سميت القرية بالأيكة باعتبار الأصل.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ
ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

**شرح الكلمات :**

**أصحاب الحجر** : هم قوم صالح ومنازلهم بين المدينة النبوية والشام .

**وآتيناهم آياتنا** : أي في الناقة وهي أعظم آية .

**ما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون** : من بناء الحصون وجمع الأموال .

**الصفح الجميل** : أي أعرض عنهم إعراضاً لا جزع فيه وهذا قبل الأمر بقتالهم

**سبعاً من الثماني** : هي آيات سورة الفاتحة السبع .

**أزاوجاً منهم** : أي أصنافاً من الكفار .

**واخفض جناحك** : أي ألِن جانبك للمؤمنين .

**معنى الآيات :**

هذا شروع في موجز قصة أخرى هي قصة أصحاب الحجر وهم ثمود قوم صالح ، قال تعالى : ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر[1] المرسلين﴾ وفي هذا موعظة لرسول الله ﷺ إذ كذبه قومه من أهل مكة فليصبر على تكذيبهم فقد كذبت قبلهم أقوام . وقال تعالى ﴿المرسلين﴾ ولم يكذبوا إلا صالحاً باعتبار أن من كذب رسولا فقد كذب عامة الرسل، لأن دعوة الرسل واحدة وهي أن يعبد الله وحده بما شرع لإكمال الإنسان وإسعاده في

(١) لفظ الحجر يطلق على أمور عدّة منها العقل ﴿لذي حجر﴾ والحرام : ﴿حجراً محجورا﴾ والفرس الانثى وحجر القميص، والفتح فيه أولى، وحجر اسماعيل إزاء الكعبة وديار ثمود : وهو المراد هنا.

الحـالتين. وقـوله ﴿وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين﴾[1] إن المراد من الآيات القائمة بالناقة منها أنها خرجت من صخرة، وأنها تشرب ماء البلد يوما، وأنها تقف أمام كل بيت ليحلب أهله منهـا ما شاءوا، وإعـراضهم عنهـا، عدم إيمـانهم وتوبتهم إلى الله تعالى بعد أن آتاهم ما طلبوا من الآيات. وقوله ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا﴾[2] أي كانوا يتخذون بالنحت بيوتاً داخل الجبال يسكنوها شتاء آمنين من أن تسقط عليهم لقوتها ومن أن ينالهم برد أو حرٌ لوقايتها لهم، وقوله تعالى ﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾[3] وذلك صيحة اليوم الرابع وهو يوم السبت فهلكوا أجمعين، ﴿فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون﴾ من المال والعتاد وبناء الحصون بل[4] هلكوا ولم ينج منهم أحد إلا من آمن وعمل صالحاً فقد نجاه الله تعالى مع نبيه صالـح عليه السـلام. وقـوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي إلا من أجل أن أُذكر وأُشكر، فلذا من كفر بي فلم يذكرني وعصاني فام يشكـرني أهلكته. لأني لم أخلق هذا الخلق العظيم لهواً وباطلاً وعبثاً. وقوله: ﴿وإن الساعة لآتية﴾[5] أي حتماً لا محالة وثَمَّ يُجزي كلٌ بما كسب فلا تحزن على قومك ولا تجـزع منهم فإن جزاءهم لازم وآت لابد، فاصبر واصفح عنهم وهو معنى قوله تعالى ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾[6] أي الذي لا جزع معه. وقوله ﴿إن ربك هو الخلاق العليم﴾ خلق كل شيء وعلم بما خلق فعلى كثرة المخلوقات يعلم نياتها، وأعمالها، وأحوالها، ولا يخفى عليه شيء من أمرها وسيعيدها كما بدأها ويحاسبها ويجزيها بما كسبت. وهذا من شأنه أن يساعد الرسول ﷺ على الصبر والثبات على دعوته حتى ينصرها الله تعالى

---

(١) المراد بالآيات: الناقة لأنها تشتمل على عدّة آيات، وجائز أن يكون هناك آيات أخرى أعطيها صالح غير الناقة.

(٢) النحت: البري والنجر، يقال نحته ينحته نحتاً إذا براه، والنحاته: البراية كالنجارة والخشارة، والمنحت: آلة النحت، وقوله: ﴿آمنين﴾ أي: من أن تسقط عليهم أو تخرب فلا تصلح للسكن فيها.

(٣) ﴿مصبحين﴾: حال من أخذتهم الصيحة أي: حال كونهم داخلين في الصباح وهو أوّل النهار، فالأيام الثلاثة التي قيل لهم: ﴿تمتعوا فيها﴾ هي الأربعاء والخميس والجمعة، وصبيحة السبت كان هلاكهم والعياذ بالله من حال الهالكين.

(٤) صحّ ان النبي ﷺ قال: (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم، وأمر بهرق ما استقوا من بئر ثمود وإلقاء ما عجن وخبز منه لأجل انه ماء سخط فلا يجوز الانتفاع به فرارا من سخط الله تعالى وقال: اعلفوه الإبل ففعلوا).

(٥) لآتية: جائية إذ الأيام تنصرم يوماً فيوماً إلى آخر يوم فالساعة الأخيرة لهذه الحياة آتية، وهي في طريقها.

(٦) هذا كان قبل الأمر بالجهاد إذ السورة مكيّة والجهاد فرض في المدينة فالآية منسوخة بمثل قوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ الآية من االتوبة المدنية.

في الوقت الذي حدده لها. وقوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ أي أعطيناك سورة الفاتحة[1] أم القرآن وأعطيناك القرآن العظيم وهو خير عظيم لا يقادر قدره. إذاً ﴿لا تمدن عينيك﴾[2] متطلعاً ﴿إلى ما متعنا به أزواجاً منهم﴾ أي أصنافاً من رجالات قريش، فما آتيناك خير مما هم عليه من المال والحال التي يتمتعون فيها بلذيذ الطعام والشراب. وقوله: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ إن هم لم يؤمنوا بك ولم يتابعوك على ما جئت به، فإن أمرهم إلى الله تعالى، وأمره تعالى أن يلين جانبه لأصحابه المؤمنين فقال: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ فحسبك ولاية الله لك فذر المكذبين أولي النعمة، وتعايش مع المؤمنين، ولين جانبك لهم، واعطف عليهم فإن الخير فيهم وليس في أولئك الأغنياء الأثرياء الكفرة الفجرة.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات:**

**١ـ إذا أراد الله هلاك أمة فإن قوتها المادية لا تغني عنها شيئاً.**

**٢ـ لم يخلق الله الخلق عبثاً بل خلقه ليعبد بالذكر والشكر، فمن عبده نجا، ومن أعرض عن ذكره وترك عبادته أذاقه عذاب الخزي في الدنيا والآخرة أو في الآخرة وهو أشد وأخزى.**

**٣ـ بيان أن الصفح الجميل هو الذي لا جزع معه.**

**٤ـ بيان أن من أوتي القرآن لم يؤت أحد مثله من الخير قط.**

**٥ـ فضل الفاتحة إذ هي السبع المثاني.**

**٦ـ على الدعاة إلى الله أن لا يلتفتوا إلى ما في أيدي الناس من مالٍ ومتاع، فإن ما آتاهم الله من الإيمان والعلم والتقوى خير مما آتى أولئك من المال والمتاع.**

**٧ـ استحباب لين الجانب للمؤمنين والعطف عليهم والرحمة لهم.**

---

(١) كون الفاتحة هي السبع المثاني هو قول عليّ وأبي هريرة والحسن وغيرهم ويشهد له الحديث الصحيح: (الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني). روي عن ابن عباس أنه قال: هي السبع الطوال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة معاً.

(٢) هذه الآية تدعو إلى الإعراض عن زخارف الدنيا وعدم الإقبال عليها، والاكتفاء فيها بما أحل الله عمّا حرّم وبما تيسّر عما تعسر، وفيها: أن من أعطاه الله القرآن وجب عليه أن يشعر بالغنى وعدم الفقر لحديث: (ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن) أي: لم يستغن به عن طلب غيره.

وَقُلْ إِنِّيٓ
أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾
ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ
عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن
مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

## شرح الكلمات :

**النذير المبين** : المبين النذارة.

**على المقتسمين** : أي الذين قسموا كتاب الله فقالوا فيه شعر، وقالوا سحر، وقالوا كهانة.

**جعلوا القرآن عضين** : هم المقسمون للقرآن وجعلوه عضين جمع عضة وهي القطعة والجزء من الشيء.

**فاصدع بما تؤمر** : أي اجهر به وأعرضه كما أمرك ربك.

**يضيق صدرك بما يقولون** : أي من الاستهزاء بك والتكذيب لك.

**حتى يأتيك اليقين** : أي الموت، أي إلى أن تتوفى وأنت تعبد ربك.

## معنى الآيات :

ما زال السياق في إرشاد الرسول ﷺ وتعليمه ما ينبغي أن يكون عليه فأمره تعالى

بقوله: ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾[1] أي أعلن لقومك بأنك النذير البين النذارة لكم يا قوم أن ينزل بكم عذاب الله إن أصررتم على الشرك والعناد والكفر، وقوله: ﴿كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين﴾[2] انذركم عذاباً كالذي أنزله الله وينزله على المقتسمين الذين قسموا التوراة والإنجيل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود والنصارى، والمقتسمين الذين تقاسموا أن يبيتوا صالحاً فأنزل الله بهم عقوبته والمقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين أي أجزاء فقالوا فيه شعر وسحر وكهانة، المقتسمين الذين قسموا طرق مكة وجعلوها نقاط تفتيش يصدون عن سبيل الله كل من جاء يريد الإسلام وهؤلاء كلهم مقتسمون وحل بهم عذاب الله ونقمته. وقوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾[3] يقسم الجبار تبارك وتعالى لرسوله أنه ليسألنهم يوم القيامة عما كانوا يعملون ويجزيهم به فلذا لا يهولنَّك أمرهم واصبر على أذاهم. وقوله ﴿فاصدع بما تؤمر﴾[4] أي أجهر بدعوة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وما تؤمر ببيانه والدعوة إليه أو التنفير منه، ﴿وأعرض عن المشركين﴾ ولا تبال بهم، وقوله: ﴿إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون﴾ والمراد بهؤلاء المستهزئين الذين واعد تعالى بكفاية رسوله شرَّهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن عبد يغوث كلهم ماتوا بآفات مختلفة في أمدٍ يسير، عليهم لعائن الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ أي من الاستهزاء بك والسخرية، ومن المبالغة في الكفر والعناد فنرشدك إلى ما يخفف عنك الألم النفسي ﴿فسبح بحمد ربك﴾ أي قل سبحان الله وبحمده أي أكثر من هذا الذكر ﴿وكن من الساجدين﴾ أي المصلين إذ لا سجود إلا في الصلاة أو تلاوة القرآن،[5] إذاً فافزع عند الضيق إلى الصلاة

(١) في الكلام حذف، وهو لفظ عذابا. فحذف المفعول لدلالة لفظ النذير عليه أو لكون الكاف في قوله ﴿كما أنزلنا﴾ زائدة ويصحّ التقدير هكذا:
أنا النذير المبين ما أنزلنا على المقتسمين أي: من العذاب.

(٢) واحد: (عضين) عضة من عضيت الشيء تعضيه أي: فرقته وكل فرقة عضة، وقيل: أصلها عضوة، فسقطت الواو، ولذا جمعت على عضين كعزين، إذ واحدها عزوة، وذلك أنهم فرقوا كلام الله فجعلوا بعضه سحراً وبعضه شعراً و. .و. .

(٣) وورد أنّ النبي ﷺ قال: في قوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنّهم . . ﴾ إلى قوله ﴿يعملون﴾ قال: (عن قول لا إله إلا الله، إذ أبوا أن يقولوها فتمادوا في الكفر والشرّ والفساد ولو قالوا لما كان لهم سوى الخير والصلاح.

(٤) قضى رسول الله ﷺ فترة من الزمن مستخفياً هو وأصحابه في دار الأرقم حتى نزلت هذه الآية: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ فخرج ﷺ وأعلن الإسلام ودعا إليه جهرة.

(٥) قيل: إنّ هذه سجدة من سجدات القرآن، والجمهور على أنها ليست سجدة وإنما أرشد الله تعالى رسوله لتفريج همّه وتوسعة صدره مما يسمع ويُقال له أمره بالتسبيح والصلاة وفعلا كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

فلذا كان ﷺ إذا أحزنه أمر فزع إلى الصلاة. وقوله: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ أي واصل العبادة وهي الطاعة في غاية الذل والخضوع لله تعالى حتى يأتيك اليقين الذي هو الموت فإن القبر أول عتبة الآخرة وبموت الإنسان ودخوله في الدار الآخرة أصبح ايمانه يقيناً محضاً.

## هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ حرمة الإختلاف في كتاب الله تعالى على نحو ما اختلف فيه أهل الكتاب.

٢ـ مشروعية الجهر بالحق وبيانه لا سيما إذا لم يكن هناك اضطهاد.

٣ـ فضل التسبيح بجملة: سبحان الله وبحمده ومن قالها مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وهذا مروي في الصحيح[٢].

٤ـ مشروعية صلاة الحاجة فمن حزبه أمر أو ضاق به فليصل صلاة يفرج الله تعالى بها ما به أو يقضي حاجته إن شاء وهو العليم الحكيم.

# سُورَةُ النَّحۡلِ[١]

## مكية

## وآياتها مائة وثمان وعشرون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ
(١) يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ
أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ (٢) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (٣) خَلَقَ
ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ (٤) وَٱلۡأَنۡعَٰمَ

---

(١) وتسمّى ايضاً سورة النعم، لما عدد تعالى فيها من نعمه على عباده.

(٢) رواه مسلم.

خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾
وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾

**شـرح الكلمـات :**

| | |
|---|---|
| أتى أمر الله | : أي دنا وقرب أمر الله بعذابكم أيها المشركون فلا تستعجلون . |
| ينزل الملائكة بالروح | : أي بالوحي الذي به حياة الأرواح والمراد من الملائكة جبريل . |
| خلق الإنسان من نطفة | : أي قطرة من المني . |
| دفء ومنافع | : أي ما تستدفئون به ، ومنافع من العسل واللبن واللحم والركوب . |
| حين تريحون | : أي حين تردونها من مراحها . |
| وحين تسرحون | : أي وحين إخراجها من مراحها إلى مسارحها أي الأماكن التي تسرح فيها . |
| إلا بشق الأنفس | : أي بجهد الأنفس ومشقة عظيمة . |

**معنى الآيـات :**

لقد استعجل المشركون بمكة العذاب وطالبوا به غير مرة فأنزل الله تعالى قوله : ﴿أتى أمر الله﴾[1] أي بعذابكم أيها المستعجلون له . لقد دنا منكم وقرب فالنضر بن الحارث القائل : ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم﴾ ، جاءه بعد سُنيّات قلائل فهلك ببدر صَبْراً ، إلى جهنم ، وعَذَابُ يوم القيامة لمن استعجله قد قرب وقته ولذا عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه وقرب مجيئه فلا معنى لاستعجاله فلذا قال الله تعالى : ﴿فلا تستعجلوه﴾ وقوله ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾

(١) من الجائز أن يراد بـ ﴿أتى أمر الله﴾ القيامة لقول الله تعالى : ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ وقوله : ﴿اقتربت الساعة﴾ وقول الرسول ﷺ (بعثت والسعة كهاتين وأشار بأصبعيه) .

أي تنـزه وتقدس عما يشركون به من الآلهة الباطلة إذ لا إله حق إلا هو. وقوله ﴿ينزل الملائكة بالروح[١] من أمره﴾ أي بإرادته وإذنه ﴿على من يشاء من عباده﴾. أي ينزل جبريل عليه السلام بالوحي على من يشاء من عباده[٢] وهو محمد ﷺ وقوله ﴿أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ أي بأن انذروا[٣] أي خوفوا المشركين عاقبة شركهم فإن شركهم باطل سيجر عليهم عذاباً لا طاقة لهم به، لأنه لا إلّه إلا الله، وكل الآلهة دونه باطلة. إذاً فاتقوا الله بترك الشرك والمعاصي وإلا تعرضتم للعذاب الأليم. في هاتين الآيتين تقرير للوحي والنبوة للنبي ﷺ وتقرير التوحيد أيضاً وقوله تعالى في الآيات التالية: ﴿خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون﴾ استدلال على وجوب التوحيد وبطلان الشرك فالذى خلق السموات والأرض بقدرته وعلمه وحده دون ما مُعِين له ولا مساعد حُقَّ أن يعبد، لا تلك الآلهة الميتة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنطق ﴿تعالى عما يشركون﴾ أي تنزه وتقدس تعالى عما يشركون به من أصنام وأوثان. وقوله: ﴿خلق الإنسان من نطفة﴾ أي من أضعف شيء وأحقره قطرة المني خلقه في ظلمات ثلاث وأخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً حتى إذا رباه وأصبح رجلًا إذا هو خصم لله يجادل ويعاند،[٤] ويقول من يحيى العظام وهي رميم. وقوله تعالى ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء[٥] ومنافع ومنها تأكلون﴾ فهذه مظاهر القدرة الإلهية والعلم والحكمة والرحمة وهي الموجبة لعبادته تعالى وترك عبادة ما سواه. فالأنعام وهي الإبل والبقر والغنم خلقها الله تعالى لبني آدم ولم يخلقها لغيرهم، لهم فيها دفء إذ يصنعون الملابس والفرش والأغطية من صوف الغنم ووبر الإبل ولهم فيها منافع كاللبن والزبدة والسمن والجبن والنسل حيث تلد كل سنة فيتنفعون بأولادها. ومنها يأكلون اللحوم المختلفة فالمنعم بهذه النعم هو الواجب العبادة دون غيره من سائر

---

(١) بالروح، أي بالوحي بالنبوة نظيره قوله تعالى: ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾.

(٢) أي: من الأنبياء ومحمد ﷺ إمامهم وخاتمهم وقوله: ﴿أن أنذروا﴾: تفسير لقوله: ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾.

(٣) أمر الله الأنبياء الذين أوحي إليهم بشرعه أن ينذروا المشركين عاقبة الشرك ويدعوهم إلى الإيمان والعمل الصالح بعد نبذ الشرك والعمل الفاسد.

(٤) هذا الإنسان الخصيم هو أبيّ بن خلف الجمحي، جاء إلى النبي ﷺ بعظم رميم فقال: أترى يحيي الله هذا بعد ما قد رمّ؟ وفيه نزل: ﴿أو لم ير الإنسان أنّا خلقناه من نطفة..﴾ الخ من سورة يّس،

(٥) الدفء: الشيء الذي يدفىء الإنسان، والجمع: ادفاء، ويقال: دفىء دفاءة ككره كراهة.

مخلوقاته وقوله: ﴿ولكم فيها جمال﴾[1] أي منظر حسن جميل حين تريحونها عشية من المرعى إلى المراح ﴿وحين تسرحون﴾ أي تخرجونها صباحاً من مراحها إلى مراعيها، فهذه لذة روحية ببهجة المنظر. وقوله ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشق[2] الأنفس﴾ أي إلا بجهد النفس والمشقة العظيمة. فالإبل في الصحراء كالسفن في البحر تحمل الأثقال من بلدٍ إلى بلد وقد تكون المسافة بعيدة لا يصلها الإنسان إلا بشق النفس وبذل الجهد والطاقة، لولا الإبل سفن الصحراء ومثل الإبل الخيل والبغال والحمير في حمل[3] الأثقال. فالخالق لهذه الأنعام هو ربكم لا إله إلا هو فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وقوله تعالى: ﴿إن ربكم﴾ أي خالقكم ورازقكم ومربيكم وإلهكم الحق الذي لا إله لكم غيره لرؤوف رحيم، ومظاهر رحمته ورأفته ظاهره في كل حياة الإنسان فلولا لطف الله بالانسان ورحمته له لما عاش ساعة في الحياة الدنيا فلله الحمد وله المنة.

### هداية الآيات

**من هداية الآيات:**

١- قرب يوم القيامة فلا معنى لاستعجاله فإنه آتٍ لا محالة، وكل آتٍ قريب.

٢- تسمية الوحي بالروح من أجل أنه يحيى القلوب، كما تحيى الأجسام بالأرواح.

٣- تقرير التوحيد والنبوة والبعث الآخر بذكر مظاهر القدرة الإلهية والعلم والحكمة والرأفة والرحمة.

وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ
وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ

(١) الجمال يكون في الصورة، وهو تناسب أجزائها، ويكون في الأخلاق بأن يكون المرء على صفات محمودة كالعدل والعلم والحكمة وكظم الغيظ وإرادة الخير لكل احد وجمال الأفعال يكون بملاءمتها لمصالح الخلق نافعة لهم غير ضارة بهم.

(٢) شق النفس: مشقتها، وغاية جهدها وعليه فالشق المشقة، والشق: الجانب من كل شيء.

(٣) في الآية دليل على جواز ركوب الإبل، والحمل عليها لكن لا تحمل أكثر مما تطيق فقد ضرب عمر حمالاً وقال: تحمل على بعيرك مالا يطيق. وكان لأبي الدرداء جمل يقال له دمون يقول له: يادمون لا تخاصمني عند ربك.

شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم
بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾
وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ
مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

## شـرح الكلمـات :

**ويخلق ما لا تعلمون** : من سائر الحيوانات ومن ذلك السيارات والطائرات والقطر.

**وعلى الله قصد السبيل** : أي تفضلاً منه وامتناناً ببيان السبيل القاصده وهي الإسلام.

**ومنها جائـر** : أي عادل عن القصد وهو سائر الملل كاليهودية والنصرانية.

**ومنه شـجر** : أي وبسببه يكون الشجر وهو هنا عام في سائر النباتات.

**فيـه تسيمون** : ترعون مواشـيكم.

**مسـخراتٍ بأمره** : أي بإذنـه وقدرتـه.

**وما ذرأ لكم في الأرض** : أي خلق لكم في الأرض من الحيوان والنباتات المختلفة.

## معنى الآيـات :

مازال السياق الكريم في تقرير التوحيد بذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته إذ قال تعالى: ﴿والخيل[1] والبغال والحمير﴾ أي خلقها وهو خالق كل شيء لعلة ركوبهم

---

(١) قيل: واحد الخيل: خائل، وقيل: هو اسم جنس لا واحد له، وهذه الثلاثة: الخيل والبغال والحمير لم تدخل في لفظ الأنعام، ونصب: (والخيل) على تقدير: (وخلق الخيل).

إياها إذ قال: ﴿لتركبوها وزينةً﴾(١) أي ولأجل أن تكون زينةً لكم في حياتكم وقوله ﴿ويخلق مالا تعلمون﴾ أي مما هو مركوب وغير مركوب من مخلوقات عجيبة ومن المركوب هذه السيارات على اختلافها والطائرات والقطر السريعة والبطيئة هذا كله إفضاله وإنعامه على عباده فهل يليق بهم أن يكفروه ولا يشكروه؟ وهل يليق بهم أن يشركوا في عبادته سواه. وقوله ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾(٢) ومن إفضاله وإنعامه الموجب لشكره ولعبادته دون غيره أن بين السبيل القاصد الموصل إلى رضاه وهو الإسلام، في حين ان ما عدا الإسلام من سائر الملل كاليهودية والنصرانية والمجوسية وغيرها سبل جائره عن العدل والقصد سالكوها ضالون غير مهتدين إلى كمال ولا إلى إسعاد هذا معنى قوله تعالى ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ وقوله ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ أي لو تعلقت بإرادته هداية الناس أجمعين لهداهم أجمعين وذلك لكمال قدرته وعلمه، إلا أن حكمته لم تقتض هداية لكل الناس فهدى من رغب في الهداية وأضل من رغب في الضلال. ومن مظاهر ربوبيته الموجبة لألوهيته أي عبادته ما جاء في الآيات التالية (١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥) إذ قال تعالى: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب﴾(٣) تشربون منه وتتطهرون، ﴿ومنه﴾ أي من الماء الذي أنزل من السماء شجر(٤) لأن الشجرة والمراد به هنا سائر النباتات يتوقف وجوده على الماء وقوله ﴿فيه تسيمون﴾(٥) أي فى ذلك النبات ترعون مواشيكم. يقال سام الماشية اي ساقها إلى المرعى ترعى وسامت الماشية أي رعت بنفسها. وقوله تعالى: ﴿ينبت لكم به﴾ أي بما أنزل من السماء من ماء ﴿الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات﴾ كالفواكه والخضر على اختلافها إذ كلها متوقفة على الماء. وقوله ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من نزول الماء وحصول المنافع الكثيرة به

---

(١) أخذ مالك من قوله تعالى: ﴿لتركبوها وزينة﴾: حرمة أكل لحوم الخيل ووافقه أبو حنيفة، وأجاز الجمهور أكلها لأنّ الآية لم تحرّم شيئا وإنّما ذكرت فائدة من فوائدها وهي الركوب، ومن أدلة الجمهور: الحديث الصحيح من ذلك قول الصحابي نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وأذن لنا في لحوم الخيل). وقال جابر رضي الله عنه: (كنا نأكل لحوم الخيل على عهد رسول الله ﷺ). وحديث مسلم عن أسماء رضي الله عنها قالت: (فجزرنا فرسا على عهد رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة وأكلناه).

(٢) أي: على الله بيان قصد السبيل، والسبيل هو الإسلام، أي: بيان شرائعه وأحكامه وحِكمه ومواعظه بواسطة كتبه ورسله. وقصد السبيل: استقامته كما أن جائر السبيل: هو العائد عن الاستقامة.

(٣) الشراب: اسم لما يشرب وذكر للماء النازل من السماء فائدتين. الأولى: الشراب والثانية: إنبات النبات وهما نعمتان.

(٤) لفظ الشجر: يطلق على النبات ذي الساق الصلبة ويطلق على مطلق العشب والكلأ تغليباً.

(٥) الإسامة: إطلاق الإبل للسوم وهو الرعي يقال: سامت الماشية إذا رعت وأسامها: إذا رعاها.

﴿لآية﴾ أي علامةً واضحةً على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته وهي مقتضية لعبادته وترك عبادة غيره. ولكن ﴿لقوم يتفكرون﴾ فيتعظون. أما اشباه البهائم الذين لا يفكـرون في شيء فلا يجدون آية ولا شبه آية في الكون كله وهم يعيشون فيه. وقوله تعالى: ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ الليل للسكون والراحة، والنهار للعمل ابتغاء الرزق وتسخيرهما كونهما موجودين باستمرار لا يفترقان أبداً إلى أن يأذن الله بانتهائهما وقوله: ﴿والشمس والقمر﴾ أي سخرهما كذلك للانتفاع بضوء الشمس وحرارتها، وضوء القمر لمعرفة عدد السنين والحساب، وقوله ﴿والنجوم مسخرات[1] بأمره﴾ كذلك ومن فوائد النجوم الاهتـداء بها في ظلمات البر والبحر وكونها زينة وجمالاً للسماء التي هي سقف دارنا هذه.. وقوله ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ﴿لآيات﴾ عدة يستدل بها على الخالق وعلى وجوب عبادته وعلى توحيده فيها. ولكن ﴿لقومٍ يعقلون﴾ أي الذين يستخدمون طاقة عقولهم في فهم الأشياء وإدراك أسرارها وحقائقها أما أشباه البهائم والمجانين الذين لا يفكرون ولا يتعقلون ولا يعقلون، فليس لهم في الكون كله آية واحدة يستدلون بها على ربهم ورحمته بهم وواجب شكره عليهم وقوله تعالى: ﴿وما ذرأ[2] لكم في الأرض﴾ أي وما خلق لكم في الأرض من إنسان وحيوان ونبات ﴿مختلفاً ألوانه﴾[3] وخصائصه وشيانه ومنافعه وآثاره ﴿إن في ذلك﴾ الخلق العجيب ﴿لآية﴾ أي دلالة واضحة على وجود الخالق عز وجل ووجوب عبادته وترك عبادة غيره ولكن ﴿لقومٍ يذّكرون﴾ فيتعظون فينتبهون إلى ربهم فيعبدونه وحده بامتثال أمره واجتناب نهيه فيكملون على ذلك ويسعدون في الحياتين.

## هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ ـ كون الخيل[4] والبغال والحمير خلقت للركوب والزينة لا ينفي منفعة أخرى فيها وهي أكل

(١) ﴿مسخرات﴾: أي: مذللات لمعرفة الأوقات ونضج الثمار، والاهتداء بالنجوم في الظلمات.

(٢) الذرء: الخلق بالتناسل والتولّد بالحمل والتفريخ فليس الإنبات فقط.

(٣) المخلوقات قسمان: قسم منها مسخر مذلل كالدواب والأنعام والأشجار، وقسم غير مذلل ولا مسخر، وشاهد هذا: قول كعب الأحبار: لولا كلمات أقولهن لجعلتني يهود حماراً فقيل له وما هن؟ قال: أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر، وبأسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم من شرّ ما خلق وذرأ وبرأ.

(٤) ما في الآية: ﴿والخيل والبغال والحمير﴾ ما يدل على وجوب الزكاة فيها، وفي الحديث الصحيح: (ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة) رواه مالك.

لحوم الخيل لثبوت السنة بإباحة لحوم الخيل، ومنع لحوم البغال والحمير كما في الصحيحين.

٢- الإسلام هو السبيل التي بينها الله تعالى فضلاً منه ورحمة وما عداه فهى سبل جائرة عن العدل والحق

٣- فضيلة التفكر والتذكر والتعقل وذم أضدادها لأن الآيات الكونية كالآيات القرآنية إذا لم يتفكر فيها العبد لا يهتدي إلى معرفة الحق المنشود وهو معرفة الله تعالى ليعبده بالذكر والشكر وحده دون سواه.

وَهُوَ ٱلَّذِى
سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ(١) لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ
مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ
وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾
وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا
لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن
تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾

**شرح الكلمات:**

**حليةً تلبسونها** : هي اللؤلؤ والمرجان.

**مواخر فيه** : أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة وبالبخار اليوم.

---

(١) تسخير البحر: هو تمكين البشر من التصرف فيه، وتذليله بالركوب والإرفاء وغيره وهي نعمة إذ لو شاء الله لسلّط البحر على العباد لأغرقهم.

مـن فضـله : أي من فضل الله تعالى بالتجارة.

أن تميـد بكم : أي تميل وتتحرك فيخرب ما عليها ويسقط.

لا تحـصوهـا : أي عداً فتضبطوها فضلاً عن شكرها للمنعم بها عز وجل.

ما تسرون وما تعلنون : من المكـر بالنبي ﷺ ومن أذاه علانية هذا بالنسبة إلى أهل مكة، إذ الخطاب يتناولهم أولاً ثم اللفظ عام فالله يعلم كل سرٍ وعلانية في أي أحد.

## معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته تلك المظاهر الموجبة لتوحيده وعبادته وشكره وذكره قال تعالى: ﴿وهو الذي سخر لكم البحر﴾ وهو كل ماء غمر كثير عذباً كان أو ملحاً وتسخيره تيسير الغوص فيه وجرى السفن عليه. وقوله ﴿لتـأكلوا منه لحماً[1] طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ بيان لعلة تسخير البحر وهي ليصيد الناس منه السمك يأكلونه، ويستخرجون اللؤلؤ والمرجان حلية لنسائهم[2]. وقوله: ﴿وترى الفلك مواخر فيه﴾ أي وترى أيها الناظر الى البحر ترى السفن تمخر الماء أي تشقه ذاهبة وجائية. وقوله: ﴿ولتبتغوا﴾ أي سخَّر البحر والفلك لتطلبوا الرزق بالتجارة بنقـل البضـائـع والسلع من إقليم إلى إقليم وذلـك كله من فضل الله وحوله ﴿لعلكم تشكرون﴾ أي كي تشكروا الله تعالى. أي سخر لكم ذلك لتحصلوا على الرزق من فضل الله فتأكلوا وتشكروا الله على ذلك والشكر يكون بحمد الله والاعتراف بنعمته وصرفها فى مرضاته وقوله: ﴿وألقى في الأرض رواسي[3]﴾ أي ألقى في الأرض جبالاً ثوابت ﴿أن تميد بكم﴾ كي لا تميد بكم، وميدانها ميلها وحركتها إذ لو كانت تتحرك لما استقام العيش عليها والحياة فيها. وقوله: ﴿وأنهاراً﴾ أي وأجرى لكم أنهاراً في الأرض كالنيل والفرات

(١) قسّم مالك اللحم ثلاثة أقسام وهي: لحم ذوات الأربع، ولحم ذوات الريش، ولحم ذوات الماء، ومنع بيع الجنس الواحد بجنسه متفاضلا أو نسيئة.

(٢) الإجماع على جواز تختم الرجل بخاتم الفضة للأحاديث الثابتة وذلك منها حديث البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أنّ النبي ﷺ اتخذ خاتما من فضة ونقش فيه محمد رسول الله) ولذا جاز للقضاة وغيرهم أن ينقشوا أسماءهم على خواتمهم.

(٣) في هذه الآية دليل على استعمال الأسباب إذ كان الله قادراً على سكونها دون الجبال، ومع هذا أرساها، وسكنها بالجبال تعليما لعباده للأخذ بالأسباب، و﴿رواسي﴾ جمع راس، على غير قياس، كفوارس، وعواذل جمع فارس وعاذل.

وغيرهما ﴿وسبلا﴾ أي وشق لكم طرقاً ﴿لعلكم تهتدون﴾ إلى منازلكم في بلادكم وقوله ﴿وعلامات﴾ أي وجعل لكم علامات للطرق وأمارات كالهضاب والأودية والأشجار وكل ما يستدل به على الطريق والناحية، وقوله ﴿وبالنجم﴾ أي وبالنجوم[1] ﴿هم يهتدون﴾ فركاب البحر لا يعرفون وجهة سيرهم في الليل إلا بالنجوم وكذا المسافرون في الصحارى والوهاد لا يعرفون وجهة سفرهم إلا بالنجوم وذلك قبل وجود آلة البوصلة البحرية ولم توجد إلا على ضوء النجم وهدايته وقوله في الآية (١٧) ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ هذا تأنيب عظيم لأولئك الذين يصرون على عبادة الأصنام ويجادلون عليها ويجالدون فهل عبادة من يخلق ويرزق ويدبر حياة الإنسان وهو الله رب العالمين كعبادة من لا يخلق ولا يرزق ولا يدير؟ فمن يسوي من العقلاء بين الحي المحيي الفعال لما يريد واهب الحياة كلها وبين الأحجار والأوثان؟ فلذا وبخهم بقوله ﴿أفلا تذكّرون﴾ فتذكرون فتعرفون أن عبادة الأصنام باطلة وأن عبادة الله حق فتتوبوا إلى ربكم وتسلموا له قبل أن يأتيكم العذاب. وقوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ بعدما عدد في هذه الآيات من النعم الكثيرة أخبر أن الناس لو أرادوا أن يعدوا نعم الله ما استطاعوا عدها فضلا عن شكرها، ولذا قال ﴿إن الله لغفور رحيم﴾ ولولا أنه كذلك ليؤاخذهم على تقصيرهم فى شكر نعمه عليهم ولَسَلَبَهَا منهم عند كفرها وعدم الاعتراف بالمنعم بها عز وجل وقوله تعالى: ﴿والله يعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ هذه آخر مظاهر القدرة والعلم والحكمة والنعمة في هذا السياق الكريم فالله وحده يعلم سر الناس وجهرهم فهو يعلم إذاً حاجاتهم وما تتطلبه حياتهم، فإذا عادوه وكفروا به فكيف يأمنون على حياتهم ولما كان الخطاب في سياق دعوة مشركي مكة إلى الإيمان والتوحيد فالاية إخطار لهم بأن الله عليم بمكرهم برسوله وتَبييت الشر له وأذاهم له بالنهار. فهي تحمل التهديد والوعيد لكفار مكة.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات:**

١- بيان العلة فى الرزق وأنها الشكر فالله سبحانه وتعالى يرزق لِيُشكر.

(١) وقد يُراد بالنجم: الجدي خاصة لقول الرسول ﷺ لابن عباس وقد سأله عن النجم فقال له: (هو الجدي عليه قبلتكم وبه تهتدون في برّكم وبحركم) وكون المراد بالنجم النجوم لقوله تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البرّ والبحر﴾.

٢- إباحة أكل الحوت وكل دواب البحر.

٣- لا زكاة في اللؤلؤ والمرجان لأنه من حلية النساء.

٤- المقارنة بين الحي الخلاق العليم، وبين الأصنام الميتة المخلوقة لتقرير بطلان عبادة غير الله تعالى لأن من يَخلُق ليس كمن لا يَخلُق.

٥- عجز الإنسان عن شكر نعم الله تعالى يتطلب منه أن يشكر ما يمكنه منها وكلمة (الحمد لله) تعد رأس الشكر والاعتراف بالعجز عن الشكر من الشكر، والشكر صرف النعم فيما من أجله أنعم الله تعالى بها.

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ
أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ
فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ
﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ
لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ
قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا
سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾

## شرح الكلمات :

**وهم يخلقون** : أي يصورون من الحجارة وغيرها.

**وما يشعرون إيان يبعثون** : أي وما تشعر الأصنام ولا تعلم الوقت الذي تبعث فيه وهو يوم القيامة. ولا يبعث فيه عابدوها من دون الله.

**قلوبهم منكرة** : أي جاحدة للوحدانية والنبوة والبعث والجزاء.

**وهم مستكبرون** : لظلمة قلوبهم بالكفر يتكبرون.

**لا جرم** : أي حقاً.

**أساطير الأولين** : أي أكاذيب الأولين.

**ليحملوا أوزارهم** : أي ذنوبهم يوم القيامة.

**ألا ساء ما يزرون** : أي بئس ما يحملون من الأوزار.

## معنى الآيات :

في هذا السياق مواجهة صريحة للمشركين بعد تقدم الأدلة على اشراكهم وضلالهم فقوله تعالى: ﴿والذين يدعون[1] من دون الله﴾ أي تعبدونهم أيها المشركون ﴿أموات غير أحياء﴾ أي هم أموات إذ لاحياة لهم ودليل ذلك أنهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا ينطقون، وقوله ﴿وما يشعرون أيان يبعثون[2]﴾ أي لا يعلمون[3] متى يبعثون كما أنكم أنتم أيها العابدون لهم لا تشعرون متى تبعثون. فكيف تصح عبادتهم وهم أموات ولا يعلمون متى يبعثون للاستنطاق والاستجواب والجزاء على الكسب في هذه الحياة، وقوله ﴿إلهكم إله واحد﴾ هذه النتيجة العقلية التي لا ينكرها العقلاء وهي أن المعبود واحد لا شريك له، وهو الله جل جلاله، إذ هو الخالق الرازق المدبر المحي المميت ذو الصفات العلا والأسماء الحسنى، وما عداه فلا يخلق ولا يرزق ولا يُدبِّر ولا يحيي ولا يميت فتأليهه سفه وضلال، وبعد تقرير ألوهية الله تعالى وإثباتها بالمنطق السليم قال تعالى: ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون﴾ ذكر علة الكفر لدى الكافرين والفساد عند المفسدين وهي تكذيبهم بالبعث الآخر إذ لا يستقيم عبد على منهج الحق والخير وهو لا يؤمن باليوم الآخر يوم الجزاء على العمل في الحياة الدنيا، فأخبر تعالى أن الذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة لكل ما يسمعون من الحق الذي يدعو إليه رسول الله ﷺ وتبينه آيات القرآن الكريم، وهم مع إنكار قلوبهم لما يسمعون من الحق مستكبرون عن

(١) قرأ عامة القراء ﴿يدعون﴾ بالتاء لأن ما قبله خطاب، وقرىء عن عاصم وحفص بالياء، وهي قراءة يعقوب أيضاً.

(٢) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: تبعث الأصنام وتركب فيها الأرواح ومعها شياطينها فيتبرّؤون من عبدتها، ثم يؤمر بالشياطين والمشركين إلى النار.

(٣) عبّر عنهم بصيغة من يعقل لأن المشركين يزعمون أنها تعقل عنهم وتشفع لهم عند الله تعالى، وتقرّبهم إلى الله زلفى.

قبول الحق والإذعان له. وقوله تعالى: ﴿لا جرم[1] ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين[2]﴾ أي حقاً ان الله يعلم ما يسر أولئك المكذبون بالآخرة وما يعلنون وسيحصى ذلك عليهم ويجزيهم به لا محالة في يوم كانوا به يكذبون. . ويا للحسرة ويا للندامة!! وهذا الجزاء كان بعذاب النار متسبب عن بغض الله للمستكبرين وعدم حبه لهم، وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين[3]﴾ يخبر تعالى عن أولئك المنكرة قلوبهم للوحي الإلهي وما جاء به رسول الله هؤلاء المستكبرون كانوا إذا سئلوا عن القرآن من قِبل من يريد أن يعرف ممن سمع بالدعوة المحمدية فجاء من بلاد يتعرف عليها قالوا: ﴿أساطير الأولين[4]﴾ أخبار كاذبة عن الأولين مسطره عند الناس فهو يَحْكَيها ويقول بها، وبذلك يصرفون عن الإسلام ويصدون عن سبيل الله، قال تعالى: ﴿ليحملوا أوزارهم﴾ أي تبعة آثامهم وتبعة آثام من صدوهم عن سبيل الله كاملة غير منقوصة يوم القيامة، وهم لا يعلمون ذلك ولكن الحقيقة هي : انّ من دعا إلى ضلالة كان عليه وزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزار من عملها شيء، وكذا من دعا إلى[5] هدى فله أجر من عمل به من غير أن ينقص من أجر العامل به شيء. وقوله تعالى: ﴿ألا ساء مايزرون﴾ أي قُبح الوزر الذي يزرونه فإنه قائدهم إلى النار موبقهم في نار جهنم.

## هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بطلان الشرك وتقرير التوحيد.

٢ـ التكذيب باليوم الآخر والبعث والجزاء هو سبب كل شر وفساد يأتيه العبد.

---

(١) ﴿لا جرم﴾: كلمة تحقيق ولا تكون إلا جواباً، يقال: فعلوا كذا وكذا فيجاب بكلمة لاجرم أنهم سيندمون.

(٢) أي: فهو لا يثيبهم ولا يثني عليهم خيراً، وفي الحديث الصحيح: (إنّ المستكبرين يحشرون أمثال الذر يوم القيامة يطؤهم الناس بأقدامهم لتكبّرهم). قالت العلماء: كل ذنب يمكن التستر منه وإخفاؤه إلا الكبر، وهو أصل العصيان كله.

(٣) قيل: إن الآية نزلت في النضر بن الحارث وهو القائل: أساطير الأولين. والآية تشمله وغيره ممن قال ويقول هذه الكلمات الكاذبة الباطلة.

(٤) الأساطير: الأباطيل، والترهات، و﴿أساطير الأوّلين﴾: خبر والمبتدأ الذي أنزله أي: الذي أنزله أساطير الأوّلين.

(٥) وفي الصحيح شاهد هذا فقد روى مسلم أنه ﷺ قال: (من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا).

٣ـ التنديد بجريمة الاستكبار عن الحق والإذعان له .

٤ـ بيان اثم وتبعة من يصد عن سبيل الله بصرف الناس عن الإسلام .

٥ـ بيان تبعة من يدعو إلى ضلالة فإنه يتحمل وزر كل من عمل بها .

قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ
مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾
ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ
ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ
لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى
هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا
مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ
اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣) فَأَصَابَهُمْ
سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٤) ﴾

## شرح الكلمات :

**من قبلهم** : أي من قبل كفار قريش بمكة كالنمرود وغيره.

**فأتى الله بنيانهم** : أي قصد إليه ليدمره فسلط عليه الريح والزلزلة فسقط من أسسه.

**وخر عليهم السقف** : أي سقط لتداعي القواعد وسقوطها.

**كنتم تشاقون فيهم** : أي تخالفون المؤمنين فيهم بعبادتكم إياهم وجدالكم عنه، وتشاقون الله بمخالفتكم إياه بترك عبادته وعبادتكم إياها.

**وقال الذين أوتوا العلم** : أي الأنبياء والمؤمنون.

**ظالمي أنفسهم** : بالشرك والمعاصي.

**فألقوا السلم** : أي استسلموا وانقادوا.

**فلبئس مثوى المتكبرين** : مثوى المتكبرين : أي قبح منزل المتكبرين في جهنم مثلاً.

**وقيل للذين اتقوا** : أي اتقوا الشرك والمعاصي.

**للذين أحسنوا** : أي أعمالهم وأقوالهم ونياتهم فأتوْا بها وفق مراد الله تعالى.

**حسنة** : أي الحياة الطيبة حياة العز والكرامة.

**ولنعم دار المتقين** : أي الجنة دار السلام.

**طيبين** : أي الأرواح بما زكوها به من الإيمان والعمل الصالح. وبما أبعدوها عنه من الشرك والمعاصي.

**يقولون سلام عليكم** : أي يقول لهم ملك الموت «عزرائيل» وأعوانه.

**هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة** : أي لقبض أرواحهم وعند ذلك يؤمنون.

**أو يأتي أمر ربك** : أي بالعذاب أو بقيام الساعة وحشرهم إلى الله عز وجل.

**وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون** : أي نزل بهم العذاب وأحاط بهم وقد كانوا به يستهزئون.

## معنى الآيات :

مازال السياق الكريم مع كفار قريش في تذكيرهم وتبصرهم بما هم فيه من الجهالة والضلالة. فيقول تعالى: ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ أي من قبل مكر كفار قريش وذلك كالنمرود وفرعون وغيرهم من الجبابرة الذين تطاولوا على الله عز وجل ومكروا برسلهم، فالنمرود ألقى بإبراهيم في النار، وفرعون قال ذروني اقتل موسى وليدع ربه.. وقوله: ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ أي أتاه أمر الله بهدمه وإسقاطه على الظلمة الطغاة ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون[1]﴾. وذهب باطلهم وزال مكرهم. ألم يتعظ بهذا كفرة قريش وهم يمكرون بنبيهم ويبيِّتون له السوء بالقتل أو النفي أو الحبس؟ وقوله تعالى: ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾ أي يهينهم ويذلهم ويوبخهم بقوله: ﴿أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم[2]﴾ أي أصنامكم وأوثانكم الذين كنتم تخالفوني بعبادتكم إياهم دوني كما تشاقون اوليائي المؤمنين أي تخالفونهم بذلك وتحاربونهم فيه. وهنا يقول الأشهاد والذين أوتوا العلم من الأنبياء والعلماء الربانيين: ﴿إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين﴾ أي إن الذل والهون والدون على الكافرين. وقوله تعالى: ﴿الذين تتوفاهم[3] الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ بالشرك والمعاصي ومن جملة المعاصي ترك الهجرة والبقاء بين ظهراني الكافرين والفساق المجرمين حيث لا يتمكن المؤمن من عبادة الله تعالى بترك المعاصي والقيام بالعبادات. وقوله ﴿فألقوا السلم﴾ أي عند معاينتهم ملك الموت وأعوانه أي استسلموا وانقادوا وحاولوا الإعتذار بالكذب وقالوا ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ فترد عليهم الملائكة قائلين: ﴿بلىٰ﴾ أي كنتم تعملون السوء ﴿إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾ ويقال لهم أيضاً ﴿فادخلوا أبواب جهنم﴾ أي أبواب طبقاتها ﴿خالدين فيها فلبئس﴾ جهنم ﴿مثوى﴾ أي مقاماً ومنزلاً ﴿للمتكبرين﴾ عن عبادة الله وحده. وقوله تعالى: ﴿وقيل للذين اتقوا﴾ أي ربهم فلم يشركوا به ولم يعصوه في أمره ولا نهيه وأطاعوا رسوله كذلك: ﴿ماذا أنزل ربكم﴾ أي إذا سألهم من أتى مكة يتعرف على ما بلغه من

---

(١) أي: من حيث ظنوا أنهم في أمان، وقال ابن عباس يعني البعوضة التي أهلك الله تعالى بها النمرود الكنعاني.

(٢) قرىء ﴿تشاقون﴾ بفتح النون وبكسرها على الاضافة، كما قرأ شركائي ابن كثير: شركاي بفتح الياء وبدون همزة.

(٣) قيل: الآية نزلت في الذين تركوا الهجرة إلى المدينة وبقوا في مكة يزاولون أعمال الشرك خوفاً من المشركين، ومن بينهم الذين لمّا رأوا قلّة المؤمنين رجعوا إلى الشرك.

دعوة الإسلام فيقولون له: ﴿خيراً﴾ أي أنزل خيراً لأن القرآن خير وبالخير نزل بخلاف تلاميذ المشركين يقولون أساطير الأولين كما تقدم في هذا السياق.

كما ذكر تعالى جزاء الكافرين وما يلقونه من العذاب في نار جهنم وهم الذين أساءوا في هذه الحياة الدنيا إلى أنفسهم بشركهم بالله ومكرهم وظلمهم للمؤمنين، ذكر جزاء المحسنين. فقال: ﴿للذين أحسنوا﴾ أي آمنوا وعملوا الصالحات متبعين شرع الله في ذلك فأخلصوا عبادتهم لله تعالى ودعوا الناس الى عبادة الله وحثوهم على ذلك فكانوا بذلك محسنين لأنفسهم ولغيرهم لهؤلاء الذين أحسنوا في الدنيا ﴿حسنة﴾ وهي الحياة الطيبة حياة الطهر والعزة والكرامة،[1] ولدار الآخرة خيرٌ لهم من دار الدنيا مع ما فيها من حسنة وقوله تعالى: ﴿ولنعم دار المتقين﴾ ثناء ومدح لتلك الدار الآخرة لما فيها من النعيم المقيم وإضافتها إلى المتقين باعتبار أنهم أهلها الجديرون بها إذ هي خاصة بهم ورثوها بإيمانهم وصالح أعمالهم بتركهم الشرك والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿جنات عدن[2] يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون﴾ هو وصف وبيان لدار المتقين فأخبر أنها جنات جمع جنة وهي البستان المشتمل على الأشجار والأنهار والقصور وما لذ وطاب من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح والمراكب وقوله تعالى: ﴿لهم فيها ما يشاءون﴾ هذا نهاية لإكرام والإنعام إذ كون العبد يجد كل ما يشتهي ويطلب هو نعيم لا مزيد عليه وقوله تعالى: ﴿كذلك يجزي الله المتقين﴾ أي كهذا الجزاء الحسن العظيم يجزي الله المتقين في الدنيا والآخرة. وقوله تعالى: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين[3]﴾ أي طاهري الأرواح لأرواحهم ريح طيبة ثمرة إيمانهم وصالح أعمالهم ونتيجة بعدهم عما يدنس أنفسهم من أوضار الشرك وعفن المعاصي.[4] وقوله: ﴿يقولون﴾ أي تقول لهم الملائكة وهم ملك الموت وأعوانه ﴿سلام عليكم﴾ تحييهم وفي ذلك بشارة لهم برضا ربهم وجواره الكريم. ﴿ادخلوا الجنة﴾ بأرواحهم اليوم

(١) مع الفتح والنصر والغنائم أيضا إذ الكل حسنة عظيمة.

(٢) ﴿جنات عدن﴾: بدل من قوله: (دار المتقين).

(٣) طيّبين بإيمانهم وعملهم الصالح وبعدهم عن الشرك والمعاصي ووفاتهم أيضاً طيبة سهلة لا صعوبة فيها ولا ألم بخلاف ما تقبض به أرواح أهل الكفر والشرك والفساد.

(٤) قال ابن المبارك: إذا استقنعت نفس العبد المؤمن «أي: اجتمعت في فيه تريد الخروج» جاءه ملك الموت فقال له: السلام عليك وليّ الله الله يقرأ عليك السلام، ثمّ قرأ هذه الآية: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ الخ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن قال: ربّك يقرئك السلام.

وبأجسامهم غداً يوم القيامة . وقوله ﴿بما كنتم تعملون﴾ أي بسبب ما كنتم تعملونه من الطاعات والمسابقة في الخيرات بعد عمل قلوبكم بالايمان واليقين والحب في الله والبغض فيه عز وجل والرغبة والتوكل عليه . هذا ما تضمنته الآيات (٣١، ٣٢) وأما الآيات بعد ذلك فيقول الله مستبطئاً ايمان قريش وتوبتهم بعد تلك الحجج والبراهين والدلائل والبينات على صدق نبوة محمد ﷺ وعلى وجوب التوحيد وبطلان الشرك وعلى الإيمان باليوم الآخر . ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ أي ما ينظرون بعد هذا إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم ﴿أو يأتي أمر ربك﴾ بإبادتهم واستئصالهم ، إذ لم يبق ما ينتظرونه إلا أحد هذين الأمرين وكلاهما مر وشر لهم . وقوله تعالى : ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ من كفار الأمم السابقة فحلت بهم نقمة الله ونزل بهم عذابه فأهلكهم . ﴿وما ظلمهم الله﴾ تعالى في ذلك أبداً ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بإصرارهم على الشرك والعناد والمجاحدة والمكابرة ﴿فأصابهم سيئات﴾ أي جزاء سيئات ﴿ما عملوا﴾ من الكفر والظلم ﴿وحاق بهم﴾ أي نزل بهم وأحاط بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ إذ كانت رسلهم إذا خوفتهم من عذاب الله سخروا منهم واستهزأوا بالعذاب واستخفوا به حتى نزل بهم والعياذ بالله تعالى .

**من هداية الآيات :**

١- سوء عاقبة المكر وأنه يحيق بأهله لا محالة والمراد به المكر السيء .

٢- بيان خزي الله تعالى يوم القيامة لأهل الشرك به والمعاصي له ولرسوله .

٣- فضل أهل العلم إذ يتخذ منهم شهداء يوم القيامة ويشمتون بأهل النار .

٤- بيان استسلام الظلمة عند الموت وانهزامهم وكذبهم .

٥- تقرير معتقد البعث والحياة الآخرة بأروع أسلوب وأحكمه وأمتنه .

٦- إطلاق لفظ خير على القرآن وهو حق خير فالذي أوتي القرآن أوتي الخير كله ، فلا ينبغي أن يرى أحداً من أهل الدنيا خيراً منه وإلا سخط نعمة الله تعالى عليه .

٧- سعادة الدارين لأهل الإحسان وهم أهل الإيمان والإسلام والإحسان في إيمانهم بالإخلاص وفي إسلامهم بموافقة الشرع ومراقبة الله تعالى في ذلك .

٨- بشرى أهل الإيمان والتقوى عند الموت، وعند القيام من القبور بالنعيم المقيم في جوار رب العالمين.

٩- إعمال القلوب والجوارح سبب في دخول الجنة وليست ثمناً لها لغلائها، وإنما الأعمال تزكي النفس وتطهر الروح وبذلك يتأهل العبد لدخول الجنة.

١٠- ما ينتظر المجرمون بإصرارهم علىَ الظلم والشر والفساد إلا العذاب، عاجلاً أو آجلاً فهو نازل بهم حتماً مقضياً إن لم يبادروا إلى التوبة الصادقة.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن
شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ
فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ
(٣٥) وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ
حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ (٣٦) إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ
فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٣٧)
وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ
وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨)
لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ
كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ (٣٩) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ
لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٤٠)

## شرح الكلـمات

| | |
|---|---|
| وقال الذين أشركوا | : هم كفار قريش ومشركوها. |
| ولا حرمنا من دونه من شيء | : كالسوائب والبحائر والوصائل والحامات. |
| فهل على الرُّسلِ إلا البلاغ | : أي ما على الرُّسل إلا البلاغ فالإستفهام للنفي. |
| واجتنبوا الطاغوت | : أي عبادة الأصنام والأوثان. |
| حقت عليه الضلالة | : أي وجبت في علم الله أزلاً. |
| جهد أيْمانهم | : أي غايتها حيث بذلوا جهدهم فيها مبالغة منهم. |
| بلى وعداً عليه حقاً | : أي بلى يبعث من يموت وقد وعد به وعداً وأحقه حقاً. فهو كائنٌ لا محالة. |
| يختلفون فيه | : أي بين المؤمنين من التوحيد والشرك. |
| انهم كانوا كاذبين | : أي في قولهم «لا نُبعث بعد الموت». |

## معنى الآيـات :

ما زال السياق في الحجاج مع مشركي قريش فيقول تعالى مُخْبراً عنهم ﴿وقال الذين أشـركـوا﴾ أي مع الله آلهـةً أخـرى وهي أصنـامهـم كهبـل والـلات والعُـزّى وقـالـوا لو شاء الله عدم إشراكنا به ما أشركنا نحن ولا آباؤنا، ولا حرمنا من دون تحريمه شيئاً فهل قالوا هذا إيمانا بمشيئـة الله تعـالى، أو قالوه استهزاء وسخرية دفاعاً عن شركهم وشرعهمَ الباطل في التحريم والتحليل بالهوى، والأمران محتملان. والرد عليهم بأمرين أولهما ما دام الله قد نهاهم عن الشرك والتشريع فإن ذلك أكبر دليل على تحريمه تعالى لشركهم ومحرماتهم من السوائب والبحائر وغيرها وثانيهما كونه لم يعذبهم عليها بعد ليس دليلاً على رضاه بها بدليل أن من سبقهم من الأمم والشعوب الكافرة قالوا قولتهم هذه محتجين به على باطلهم فلم يلبثوا حتى أخذهم الله، فدل ذلك قطعاً على عدم رضاه بشركهم وشرعهم إذ قال تعالى فى سورة الأنعام رداً على هذه الشبهة كذلك قال الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا أي عذاب انتقامنا منهم لما كذبوا رسلنا وافتروا علينا. وقوله تعالى: ﴿كذلك فعل الذين[1]

---

(١) الإشـارة بذلك إلى الإشراك وتحريمهم أشياء من تلقاء أنفسهم أي: كفعل هؤلاء فعل الذين من قبلهم ممن مكروا برسلهم وأهلكم الله جل جلاله.

من قبلهم﴾ من الأمم السابقة قالوا قول هؤلاء لرسلهم وفعلوا فعلهم حتى أخذهم الله بالعـذاب. وقـولـه ﴿فهل[1] على الرسل[2] إلا البلاغ المبين﴾ أي ليس على الرسول إكراه المشركين على ترك الشرك ولا إلزامهم بالشرع وانما عليه أن يبلغهم أمر الله تعالى ونهيه لا غير. فلذا كان في الجملة تسلية رسول الله ﷺ وحمله على الصبر حتى يبلغ دعوة ربه وينصره على أعدائه. هذا ما دلت عليه الآية الأولى في هذا السياق (٣٥) وقوله في الآية الثانية (٣٦) ﴿ولقد[3] بعثنا في كل أمةٍ رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ فأخبر تعـالى بأنـه ما أخلى أمة من الأمم من إرسال رسول إليها لهدايتها وبيان سبيل نجاتها وتحذيرها من طرق غوايتها وهلاكها. كما أخبر عن وحدة الدعوة بين الرسل وهي لا إله إلا الله المفسره بعبادة الله تعالى وحده، واجتناب الطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله مما دعا الشيطان الى عبادته بالتزيين والتحسين عن طريق الوسواس من جهة ومن طريق اوليائه من[4] الناس من جهةٍ أخرى.

وقوله تعالى: ﴿فمنهم﴾ أي من الأمم المرسل إليهم ﴿من هدى الله﴾ فعرف الحق واعتقده وعمل به فنجا وسعد، ﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة[5]﴾ أزلاً في كتاب المقادير لأنـه أصر على الضلال وجادل عنه وحارب من أجله باختياره وحريته فحرمه الله لذلك التوفيق فضلَّ ضلالاً لا أمل في هدايته. وقوله تعالى: ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبـة المكـذبين﴾ أمـرٌ لكفار قريش المجادلين بالباطل المحتجين على شركهم وشرعهم الباطل أمرٌ لهم أن يسيروا في الأرض جنوباً أو شمالاً فينظروا كيف كانت عاقبة المكذبين أمثالهم من أمة عاد في الجنوب وثمود في الشمال، ومدين ولوط وفرعون في الغرب. وقوله تعالى في تسلية رسوله والتخفيف من الهمِّ عنه: ﴿إن تحرص﴾ يا رسولنا

---

(١) الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، ولذا جاء الاستثناء بعده أي: ما على الرسل إلا البلاغ، أي: ليس عليهم هداية الخلق إذ لا يملكون ذلك ولم يكلفوا به وإنما كلفوا بالبلاغ والبيان.

(٢) في الآية: ﴿فهل على الرسل...﴾ تسلية للرسول ﷺ وتعليم وفيها أيضاً التحريض بإبلاغ المشركين.

(٣) هذا الكلام معطوف على قوله: ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ متضمن بياناً لسنة الله تعالى في إرسال الرسل لاحقاق الحق وإبطال الباطل ونصر المؤمنين، وهلاك الكافرين المكذّبين.

(٤) أولياء الشيطان: هم الكهان ودعاة الضلال الذين يصدّون عن سبيل الله بتزيين الباطل وتحسين الشرك والخرافة.

(٥) في هذا ردّ على القدرية نفاة القدر إذ معنى: ﴿حقت﴾: وجبت له أزلا في كتاب المقادير.

﴿على هداهم﴾ أي هدايتهم إلى الحق ﴿فإن الله لا يهدي من يضل﴾[1] فخفف على نفسك وهون عليها فلا تأسف ولا تحزن وادع الى ربك في غير حرص يضر بك وقوله ﴿لا يهدي من يضل﴾ أي لا يقدر أحد أن يهدي من أضله الله، لأن اضلال الله تعالى يكون على سنن خاصة لا تقبل التبديل ولا التغيير لقوة سلطانه وسعة عمله. وقوله ﴿وما لهم من ناصرين﴾ أي وليس لأولئك الضلال الذين أضلهم الله حسب سنته من ناصرين ينصرونهم على ما سينزل بهم من العذاب وما سيحل بهم من خسرانٍ وحرمان. وقوله تعالى في الآية (٣٨) ﴿وأقسموا بالله جهد[2] أيمانهم لايبعث الله من يموت﴾ اخبار عن قول المشركين والمكذبين باليوم الآخر أصحاب القلوب المنكرة، ومعنى ﴿أقسموا بالله جهد أيمانهم[3]﴾ أي حلفوا أشد الأيمان إذ كانوا في الأمور التافهة يحلفون بآلهتهم وآبائهم. وإذا كان الأمر ذا خطر وشأن أقسموا بالله وبالغوا في الإقسام حتى يبلغوا جهد أيمانهم والمحلوف عليه هو أنهم إذا ماتوا لا يبعثون أحياء فيحاسبون ويجزون فرد الله تعالى عليهم بقوله ﴿بلىٰ﴾ أي تبعثون وعد الله حقاً فلا بد ناجز ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون[4]﴾ فلذا ينفون البعث وينكرونه لجهلهم بأسرار الكون والحياة وعِلَلَ الوجود والعمل فيه فلذا أشار الله تعالى إلى بعض تلك العلل في قوله: ﴿ليبين لهم الذي يختلفون فيه﴾ فلولا البعث الآخر ما عرف المُحق من المبطل في هذه الحياة والخلاف سائد ودائم بين الناس. هذا أولاً. وثانياً: ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين[5]﴾ في اعتقاداتهم وأعمالهم ونفيهم الحياة الثانية للجزاء على العمل في دار العمل هذه أما استبعادهم البعث بعد الموت نظراً إلى وسائلهم ووسائطهم الخاصة بهم فقد أخبرهم تعالى بأن الأمر ليس كما تقدرون أنتم وتفكرون: إنه مجرد ما تتعلق إرادتنا بشيء نريد أن يكون، نقول له كن

(١) قرىء في السبع ﴿يُهدي﴾ بضم الياء مبنيًا للمجهول وقرىء: ﴿يهدي﴾ بفتح الياء مبنيًا للمعلوم وقراءة لا يهدي هي التي فسر بها في التفسير. وقراءة يهدي، أي: أن الله إذا كتب على عبد شقاء لا يهديه للخلاص منه.

(٢) روي أن رجلا من المسلمين كان له دَين على مشرك فقاضاه منه وقال في بعض كلامه: والذي أرجوه بعد الموت، انه لكذا وكذا فأقسم المشرك بالله: لا يبعث الله من يموت، فنزلت الآية.

(٣) ذكر القرطبي عن قتادة أن رجلا قال لابن عباس: إنّ ناساً يزعمون أنّ عليا مبعوث بعد الموت قبل الساعة يتأوّلون هذه الآية فقال ابن عباس: كذب أولائك إنّما هذه الآية عامة للناس فلو كان عليٌ مبعوثا قبل يوم القيامة ما نكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه.

(٤) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (قال الله تعالى كذّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك).

(٥) أي: في نفيهم البعث وإقسامهم على عدم وقوعه، وفي إنكارهم التوحيد والنبوّة أيضاً.

فيكون فوراً، والبعث الآخر من ذلك. هذا ما دل عليه قوله في الآية (٤٠) ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾[1] ولا يقولن قائل كيف يخاطب غير الموجود فيأمره ليوجد فإن الله تعالى إذا أراد شيئاً علمه أولاً ثم قال له كن فهو يكون.

## هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ الرد على شبهة المشركين في احتجاجهم بالمشيئة الإلهية.

٢ـ تفسير لا إله إلا الله.

٣ـ التحذير من تعمد الضلال وطلبه والحرص عليه فإن من طلب ذلك وأضله الله لا ترجى هدايته.

٤ـ بيان بعض الحكم في البعث الآخر.

٥ـ لا يستعظم على الله خلق شيء وإيجاده، لأنه يوجد بكلمة التكوين فقط.

وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾

## شـرح الكـلمات :

**والذين هاجروا في الله** : أي خرجوا من مكة في سبيل الله نصرةً لدينه وإقامته بين الناس.

---

(١) قال أهل العلم في الآية دليل على عدم خلق القرآن إذ لو كان مخلوقاً لكان قوله: ﴿كن﴾ مخلوقاً، ولاحتاج إلى قول ثانٍ، والثاني يحتاج إلى ثالث وتسلسل وهذا محال وفيها دليل على أن الله مريد لجميع الحوادث خيرها وشرها نافعها وضارها، والدليل أنّ من رأى في سلطانه ما يكرهه ولا يريده فلأحد شيئين إما لكونه جاهلا لا يدري وإما لكونه مغلوبا لا يطيق وهذا محال في حقه سبحانه وتعالى وبذلك تأكد أن الله مريد لكل ما يجري من أحداث في الملكوت وحكمته لا يخلو منها شيء.

**لنبوئنهم في الدنيا حسنة** : أي لننـزلنهم داراً حسنـة هي المدينة النبوية هذا بالنسبة لمن نزلت فيهم الآية.

**الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون** : أي على أذى المشـركين وهـاجروا متوكلين على ربهم في دار هجرتهم.

**فاسألوا أهل الذكر** : أي أيهـا الشاكوّن فيما جاء به محمد ﷺ فاسألوا أهـل التوراة والإنجيل لإزالة شككم ووقوفكم على الحقيقـة وأن ما جاء به محمد حق وأن الرسل قبله كلهم كانوا بشراً مثله.

**بالبينات والزبر** : أي أرسلناهم بشراً بالبينات والزبر[1] لهداية الناس.

**وأنزلنا إليك الذكر** : أي القـرآن.

**لتبين للناس ما نزل اليهم** : علة لإنزال الذكر إذ وظيفة الرسل، البيان.

## معنى الآيـات :

إنه بعد اشتداد الأذى على المؤمنين لعناد المشركين وطغيانهم، أذن الله تعالى على لسان رسوله للمؤمنين بالهجرة من مكة إلى الحبشة ثم إلى المدينة فهاجر رجال ونساء فذكر تعالى ثناء عليهم وتشجيعاً على الهجرة من دار الكفر فقال عز وجل ﴿والذين هاجروا في الله﴾[2] أي في ذات الله ومن أجل عبادة الله ونصرة دينه ﴿من بعد ما ظلموا﴾ أي من قبل المشركين ﴿لنبوئنهم﴾ أي لننزلهم ولنسكننهم ﴿في الدنيا حسنة﴾ وهي المدينة النبوية ولنرزقنهم فيها رزقاً حسناً هذا بالنسبة لمن نزلت[3] فيهم الآية، وإلا فكل من هاجر في الله ينجـز له الـرب هذا الـوعـد كمـا قال تعـالى : ﴿ومن يهـاجـر في سبيل الله يجـد في الأرض مراغمـا كثيرا وسعـة﴾ أي في العيش والـرزق ﴿ولأجـر الآخرة﴾ المعد لمن هاجر في سبيل

(١) ﴿الزّبر﴾: الكتب.

(٢) أي: تركوا الوطن، والأهل، والقرابة كما تركوا السيئات. ومعنى : في الله أي: لأجل الله إذ بدار الكفر لا يتمكنون من عبادة الله تعالى فإذا هاجروا تمكنوا فكانت هجرتهم إذاً لله أي لعبادته التي خلقهم من أجلها.

(٣) قيل: نزلت الآية في صهيب وبلال وعمار، وخبّاب إذ عذّبهم المشركون أشد العذاب حتى هاجروا، ويدخل في هذا أيضاً أبو جندل وغيره.

الله ﴿أكبر لو كانوا يعلمون﴾[1]. هذا ترغيب في الهجرة وتشجيع للمتباطئين على الهجرة وقوله: ﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾[2] بيان لحالهم وثناء عليهم بخير لأنهم صبروا أولاً على الأذى في مكة ثم لما أذن لهم بالهجرة هاجروا متوكلين على الله تعالى مفوضين أمورهم إليه، واثقين في وعده. هذا ما دلت عليه الآيتان (٤١)، (٤٢). وأما الآية الثالثة (٤٣) والرابعة من هذا السياق فهما تقرير حقيقة علمية بعد إبطال شبهة المشركين القائلين كيف يرسل الله محمداً رسولاً وهو بشر مثلنا لم لا يرسل ملكاً.. وهو ما أخبر الله تعالى في قوله ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ أي من الرسل ﴿إلا رجالاً﴾ لا ملائكة ﴿نوحي إليهم﴾ بأمرنا وقوله: ﴿فاسألوا﴾ أيها المشركون المنكرون أن يكون الرسول بشراً، اسألوا أهل الذكر وهو الكتاب[3] الأول أي أسألوا علماء أهل الكتاب اليهود والنصارى هل كان الله تعالى يرسل الرسل من غير البشر ﴿إن كنتم لا تعمون﴾فإنهم يخبرونكم. وما موسى ولا عيسى إلا بشر، وقوله: ﴿بالبينات والزبر﴾ أي أرسلنا أولئك الرسل من البشر بالبينات أي الحجج والدلائل الدالة على وجوب عبادتنا وترك عبادة من سوانا. والزبر أي الكتب. ثم يقول تعالى لرسوله: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ وفي هذا تقريرٌ لنبوته ﴾ وقوله: ﴿ولعلهم يتفكرون﴾ فيعرفون صدق ما جئتهم به فيؤمنوا. ويتوبوا إلى ربهم فينجوا ويسعدوا.

## هداية الآيـات

**من هداية الآيـات:**

١ـ فضل الهجرة ووجوبها عند اضطهاد المؤمن وعدم تمكنه من عبادة الله تعالى.

٢ـ وجوب سؤال أهل العلم على كل من لا يعلم أمور دينه من عقيدة وعبادة وحكم.

٣ـ السنة لا غنى عنها لأنها المبينة لمجمل القرآن والموضحة لمعانيه.

---

(١) هذا صالح لكلّ من المؤمنين ومعذبيهم، غير أنه في المؤمنين أظهر إذ كان عمر رضي الله عنه إذا أعطى المهاجرين العطاء قال: هذا ما وعدكم الله في الدنيا وما ادخر لكم في الآخرة أكثر ثم يتلو هذه الآية: ﴿ولأجر الآخرة خير لو كانوا يعلمون﴾.

(٢) قال العلماء: خيارُ المؤمنين من إذا نابه أمر صبر وإذا عجز عن أمر توكل وهو المراد من قوله تعالى: ﴿الذين صبروا وعلى ربّهم يتوكلون﴾.

(٣) يدخل في أهل الذكر أهل القرآن، وهم علماء هذه الأمّة، وبهذا أمر الله تعالى غير العالمين أن يسألوا أهل العلم، وأمر العالمين أن يعلموا ويبيّنوا ومن كتم منهم عُذّب.

أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ
أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ
فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ
رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ
يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ
وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾

## شرح الكلمات :

**مكروا السيئات** : أي مكروا المكرات السيئات فالسيئات وصف للمكرات التي مكروها.

**في تقلبهم** : أي في البلاد مسافرين للتجارة وغيرها.

**على تخوف** : أي تنقص.

**يتفيئوا ظلاله** : أي تتميل من جهةٍ إلى جهة.

**سجداً لله** : أي خضعاً لله كما أراد منهم.

**داخرون** : أي صاغرون ذليلون.

**من فوقهم** : من أعلى منهم إذهو تعالى فوق كل شيء ذاتاً وسلطاناً وقهراً.

**ما يؤمرون** : أي ما يأمرهم ربهم تعالى به.

## معنى الآيات :

ما زال السياق في تخويف المشركين وتُذكيرهم لعلهم يرجعون بالتوبة من الشرك والجحود للنبوة والبعث والجزاء. قال تعالى: ﴿أفأمن الذين مكروا﴾[1] المكرات

---

(١) هذا وعيد للمشركين الذين احتالوا في إبطال الإسلام.

﴿السيئات﴾ من محاولـة قتـل النبي ﴿ﷺ﴾ والشرك والتكذيب بالنبوة والبعث وظلم المؤمنين وتعذيب بعضهم، أفأمنوا ﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾ من تحتهم فيقرون في أعمـاقهـا، ﴿أو يأتيهم العـذاب من حيث لا يشعرون﴾[1] ولا يتوقعون من ريح عاصف تعصف بهم أو وبـاء يشملهم أو قحط يذهب بمالهم. وقوله تعالى: ﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾ أي في تجارتهم وأسفارهم ذاهبين آيبين من بلدٍ إلى بلد. ﴿فما هم بمعجزين﴾[2] له تعـالى لو أراد أخذهم وإهلاكهـم. وقوله تعالى: ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾[3] أي تنقص[4] بأن يهلكهم واحداً بعد واحد أو جماعة بعد جماعة حتى لا يبقى منهم أحداً، وقد أخذ منهم ببدرٍ من أخذ وفي أحد. وقوله تعالى: ﴿فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾ تذكير لهم برأفته ورحمته إذ لولاهما لأنزل بهم نقمته وأذاقهم عذابه بدون إنظار لتوبةٍ أو إمهال لرجوع إلى الحق. وقوله تعالى: ﴿أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء﴾[5] من شجرٍ وجبل وإنسانٍ وحيوان ﴿يتفيؤا ظلالـه﴾ بالصباح والمساء ﴿عن اليمين والشمائل﴾ «جمع شمال» ﴿سجداً لله﴾ خضعاً بظلالهم ﴿وهم داخرون﴾[6] أي صاغرون ذليلون. أما يكفيهم ذلك دلالةً على خضوعهم لله وذلتهم بين يديه، فيؤمنوا به ويعبدونه ويوحدوه فينجوا من عذابه ويفوزوا برحمته. وقوله تعالى: ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة﴾ أي ولله لا لغيره يسجد بمعنى يخضع وينقاد لما يريده الله تعالى من إحياء أو إماتة أو صحـة أومـرض أوخير أوغيره من دابةٍ أي من كل ما يدب من كائن على هذه الأرض ﴿والمـلائكـة﴾[7]

---

(١) وقد تمّ لهم وذاقوا مُرّاً يوم بدر بقتل صناديدهم وأسرهم.

(٢) أي: بسابقين الله ولا فائتيه.

(٣) التخوّف: مصدر لفعل تخوّف إذا خاف، ومصدر لتخوّف المتعدي الذي بمعنى تنقص، وهو لغة هذيل، فللآية معنيان. الأول: أن يكون المعنى: يأخذهم العذاب وهم في حالة توقع بنزول العذاب لوجود أماراته كالرعد والبرق مثلا. والثاني: أن يكون المعنى بأن يأخذهم وهم في حالة تنقص بأن يأخذ القرية فتخاف القرية الأخرى وهو واضح المعنى في التفسير.

(٤) ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسير التخوّف: بأن يعاقب أو يتجاوز، ويشهد له الجملة التعليلية وهي ﴿فإنّ ربكم لرؤوف رحيم﴾ فهو لا يعاجل بالعقوبة.

(٥) أي: من أي جسم قائم له ظل كشجرة أو جبل ومعنى تفيء الظلال: ميلانه من جانب إلى جانب ومنه سمي الظلّ بالعشي فـيء: لأنه فاء من المشرق إلى المغرب أي: رجع، والفيء: الغنائم التي ترجع إلى المسلمين من الكافرين لأنّهم أحق بها فرجعت إليهم.

(٦) أي: خاضعون، والدخور: الصغار والذل يقال: دخر الرجل فهو داخر وأدخره الله. قال ذو الرمّة:

فلم يبقَ إلا داخر في مخيّس ... ومنجحر في غير أرضك في حجر

والشاهد في قوله داخر أي خاضع ذليل والمخيس بناء من مدر يسجن فيه

(٧) قيل: المراد بالملائكة: ملائكة الأرض، وخصّهم بالذكر وهم داخلون في عموم ما في السموات وما في الأرض لشرف منزلتهم عند ربّهم جلّ جلاله، والملائكة يطيرون ولا يَدِبّون، فلذا أخرجوا أيضا بالذكر.

على شرفهم يسجدون ﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن عبادة ربهم ﴿ويخافون ربهم من فوقهم﴾ إذ هو العلي الأعلى وكل الخلق تحته. ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ فلا يعصون ربهم ما أمرهم. إذا كان هذا حال الملائكة فما بال هؤلاء المشركين يلجون في الفساد والاستكبار والجحود والمكابرة وهم أحقر سائر المخلوقات، وشر البريات إن بقوا على كفرهم وشركهم.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات :**

١- حرمة الأمن من مكر الله.

٢- كل شيء ساجد لله، أي خاضع لما يريده منهم، إلا أن السجود الطوعي الاختياري هو الذي يثاب عليه العبد، أما الطاعة اللا إرادية فلا ثواب فيها ولا عقاب.

٣- فضل السجود الطوعي الاختياري.

٤- مشروعية السجود عند هذه الآية: إذا قرأ القارىء أو المستمع: ﴿ويخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾، عليه أن يسجد ان كان متطهراً إلى القبلة إن أمكن ويسبح في السجود ويكبر في الخفض والرفع ولا يسلم، ولا يسجد عند طلوع الشمس ولا عند غروبها.

وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ[(١)]
ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن
نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ
إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾
لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ

(١) جائز أن يكون سكّان شرق الجزيرة من العرب قد انتقلت إليهم عقيدة المجوس المبنية على إله الخير وهو يزدان وإله الشر الذي هو أهرمُنْ وذلك لمجاورتهم لحكومة المجوس الممتدة إلى العراق، ويكون النهي في الآية موجها إليهم.

لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾

## شـرح الكلمـات :

**لا تتخذوا إلهين** : أي تعبدونهما إذ ليس لكم إلا إله واحد.

**وله ما في السموات والأرض** : أي خلقاً وملكاً، إذاً فما تعبدونه مع الله هو لله ولم يأذن بعبادته.

**وله الدين واصباً** : أي خالصاً دائماً واجباً.

**فإليه تجأرون** : أي ترفعون أصواتكم بدعائه طالبين الشفاء منه.

**فتمتعوا فسوف تعلمون** : تهديدٌ على كفرهم وشركهم ونسيانهم دعاء الله تعالى.

**ويجعلون لما لايعلمون نصيباً** : أي يجعلون لآلهتهم نصيباً من الحرث والأنعام.

**عما كنتم تفترون** : أي تختلقون بالكذب وتفترون على الله عز وجل.

## معنى الآيـات :

بعد إقامة الحجج على التوحيد وبطلان الشرك أخبرهم أن الله ربهم رب كل شيء قد قال لهم: أيها الناس ﴿لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ فلفظ اثنين توكيد للفظ إلهين أي لا تعبدوا إلهين بل اعبدوا إلهاً واحداً وهو الله إذ ليس من إله إلا هو فكيف تتخذون إلهين والحال انه ﴿إله واحد﴾ لا غير وهو الله الخالق الرازق المالك، ومن عداه من مخلوقاته كيف تُسوَّى به وتُعبَد معه؟ وقوله تعالى: ﴿فإياي فارهبون﴾[1] أي ارهبوني وحدي ولا ترهبوا سواي إن بيدي كل شيء، وليس لغيري شيء فأنا المحيي المميت، الضار النافع، يوبخهم على رهبتهم غيره سبحانه وتعالى من لا يستحق أن يُرهب لعجزه وعدم قدرته على أن ينفع أو يضر. وقوله تعالى: ﴿وله ما في السموات والأرض﴾[2] برهان على بطلان رهبة غيره أو

---

(١) الرهبة: الخوف، فمعنى ﴿فارهبون﴾: خافوني ولا تخافوا سواي، وتقديم المفعول: ﴿فإيايَ﴾ مؤذن بحصر الرهبة في الله تعالى ونفيها عمّن سواه.

(٢) في الآية تقرير وحدانية الله تعالى إذ ما في السموات له، وما في الأرض له فهو إذاً إله واحد وبطل التعدد الذي يراه المجوس.

الرغبة في سواه ما دام له ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً. وقوله ﴿وله الدين واصباً﴾[1] أي العبادة والطاعة دائماً ثابتاً واجباً، ألا لله الدين الخالص. وقوله تعالى: ﴿أفغير الله تتقون﴾ يوبخهم على خوف سواه وهو الذي يجب أن يرهب ويخاف لأنه الملك الحق القادر على إعطاء النعم وسلبها، فكيف يُتقى من لا يملك ضراً ولا نفعاً ويُعصىٰ من بيده كل شيء وإليه مرد كل شيء، وما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن. وقوله: ﴿وما بكم من نعمةٍ فمن الله﴾[2] يخبرهم تعالى بالواقع الذي يتنكرون له فيخبرهم أنه ما بهم من نعمة جلت أو صغرت من صحةٍ أو مالٍ أو ولد فهي من الله تعالى خالقهم وواهبهم حياتهم، وليست من أحدٍ غيره، ودلل على ذلك شعورهم الفطري وهو أنهم إذا مسهم الضر من فقرٍ أو مرض أو تغير حال كخوف غرقٍ في البحر فإنهم يرفعون أصواتهم إلى أعلاها مستغيثين بالله سائلينه أن يكشف ضرهم أو ينجيهم من هلكتهم المتوقعة لهم فقال عز وجل: ﴿ثم إذا مسكم الضر فإليه﴾ دون غيره ﴿تجأرون﴾ برفع أصواتكم بالدعاء والإستغاثة به سبحانه وتعالى وقوله: ﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريقٌ﴾ كبير ﴿منكم بربهم يشركون﴾ فيعبدون غيره بأنواع العبادات متناسين الله الذى كشف ضرهم وأنجاهم من هلكتهم.

وقوله: ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾[3] أي ليؤول أمرهم إلى كفران ونسيان ما آتاهم الله من نعمٍ وما أنجاهم من محن. أفهكذا يكون الجزاء؟ أينعم بكل أنواع النعم وينجى من كل كرب ثم ينسى له ذلك كله، ويعبد غيره؟ بل ويحارب دينه ورسوله؟ إذاً ﴿فتمتعوا﴾[4] أيها الكافرون ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة كفركم وإعراضكم عن طاعة الله وذكره وشكره. وقوله تعالى: ﴿ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم﴾ وهذا ذكرٌ لعيب آخر من عيوبهم وباطلٍ من باطلهم أنهم يجعلون لأوثانهم التى لا يعلمون عنها شيئاً من نفعٍ أو ضر أو اعطاء أو منع أو إماتة أو إحياء يجعلونها لها طاعةً للشيطان نصيباً وحظاً من أموالهم

---

(١) لفظ الدّين هنا: صالح لأن يكون الطاعة يقال: دان فلان للملك: أطاعه وصالح لأن يكون الجزاء كقوله: ﴿مالك يوم الدين﴾ وصالح لان يكون الديانة والكل لله. لا شريك له، فالطاعة واجبة له والجزاء هو الذي يملكه والديانة هو شارعها فهي له دون سواه.

(٢) فيه إشارة إلى بطلان إله الخير الذي يدين له المجوس الذين يقولون الخير من إله الخير، والشر من إله الشر.

(٣) وجائز أن تكون اللام: لام كي التعليلية.

(٤) الأمر للتهديد.

يتقربون به إليها فسيبوا لها السوائب، وبحروا لها البحائر من الأنعام، وجعلوا لها من الحرث والغرس كذلك كما جاء ذلك في سورة الأنعام والمائدة قبلها: وقوله تعالى: ﴿تالله لتسئلن[1] عما كنتم تفترون﴾ أقسم الجبار لهم تهديداً لهم وتوعداً أنهم سيسألون يوم القيامة عما كانوا يفترون أي من هذا التشريع الباطل حيث يحرمون ويحللون ويعطون آلهتهم ما شاءوا وسوف يوبخهم عليه ويجزيهم به جهنم وبئس المهاد.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات:**

١- تقرير التوحيد بعبادة الله تعالى وحده. ٢-وجوب الرهبة من الله دون سواه.

٣- وجوب الدين لله إذ هو الإله الحق دون غيره.

٤- كل نعمة بالعبد صغرت أو كبرت فهي من الله سبحانه وتعالى.

٥- تهديد المشركين إن أصروا على شركهم وعدم توبتهم.

٦- التنديد بالمشركين وتشريعهم الباطل بالتحليل والتحريم والإعطاء والمنع.

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ
﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ
﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ
أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن
يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ
سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ

---

(١) هذا سؤال توبيخ ويتم في عرصات القيامة أو في النار.

﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ (٦٢)

**شـرح الكلـمات :**

**ويجعلون لله البنات** : إذ قالوا الملائكة بنات الله

**ولهم ما يشتهون** : أي الذكور من الأولاد.

**ظل وجهه مسوداً** : أي متغيراً بالسواد لما عليه من كرب.

**وهو كظيـم** : أي ممتلىء بالـغم.

**أم يدسه في التراب** : أي يدفن تلك المولودة حية وهو الوأد

**مثـل السوء** : أي الصفة القبيحة.

**ولله المثل الأعلى** : أي الصفة العليا وهي لا إله إلا الله.

**ان لهـم الحسنىٰ** : أي الجنة إذ قال بعضهم ولئن رجعت إلى ربي ان لي عنده للحسنىٰ.

**وأنهم مفرطون** : أي مقدمون إلى جهنم متروكون فيها.

**معنى الآيـات :**

ما زال السياق في بيان أخـطاء المشـركين في اعتقـاداتهم وسلوكهم فقـال تعالى: ﴿ويجعلون[1] لله البنـات ـ سبحـانـه ـ ولهم ما يشتهـون[2]﴾ وهذا من سوء أقوالهم وأقبح اعتقادهم حيث ينسبون إلى الله تعالى البنات، إذ قالوا الملائكة بنات الله في الوقت الذي يكرهون نسبة البنات إليهم، حتى إذا بشر أحدهم بأنثى بأن أُخبر بأنه ولدت له بنت ظل نهاره كاملاً في غم وكرب ﴿وجهه مسوداً وهو كظيم﴾[3] ممتلىء بالغم والهم. ﴿يتوارى﴾ أي يستتر ويختفي عن أعين الناس خوفاً من المعرة، وذلك ﴿من سوء ما بشر به﴾ وهو البنت وهو في ذلك بين أمرين إزاء هذا المبَشَّر به: إما أن يمسكه. أن يبقيه في بيته بين

---

(١) هذه الآية نزلت في خزاعة وكنانة إذ زعموا أنّ الملائكة بنات الله، وكانوا يقولون: ألحقوا البنات بالبنات.

(٢) (ما) موصولة، وهو وصلته مبتدأ في محل رفع، والخبر متعلّق الجار والمجرور أي: ثابت لهم.

(٣) الكظيم: مشتق من الكظامة وهو شدّ فم القربة، إذا الكظيم هو المغموم الذي يطبق فاه فلا يتكلّم من الغمّ.

أولاده ﴿على هون﴾ أي مذلة وهوان، وإما أن ﴿يدسه في التراب﴾[1] أي يدفنه حياً وهو الـوأد المعروف عندهم. قال تعالى منددأ بهذا الإجرام: ﴿ألا ساء ما يحكمون﴾ في حكمهم هذا من جهة نسبة البنات لله وتَبَرُّئهم منها، ومن جهة وأْد البنات[2] أو إذلالهن، قبح حكمهم الجاهلي هذا من حكم. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٧) وهي قوله: ﴿ويجعلون لله البنات﴾ حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ أي نزه تعالى نفسه عن الولد والصاحبة فلا ينبغي أن يكون له ولد ذكراً كان أو أنثى لأنه رب كل شيء ومليكه فما الحاجة إلى الولد إذاً؟ والآية الثانية (٥٨) وهي قوله تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى[3] ظل وجهه مسوداً﴾ أي أقام النهار كله مسود الوجه من الغم ﴿وهو كظيم﴾ أي ممتلىء بالغم والهم، ﴿يتوارى من القوم من سوء ما بشر به﴾ أي من البنت ﴿أيمسكه على هونٍ أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾ وقوله تعالى: ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾ يخبر تعالى أن الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم منكروا البعث الآخر لهم المثل السوء[4] أي الصفة السوء وذلك لجهلهم وظلمة نفوسهم لأنهم لايعملون خيراً ولا يتركون شراً، لعدم إيمانهم بالحساب والجزاء فهؤلاء لهم الصفة السوأى في كل شيء، ﴿ولله المثل الأعلى﴾[5] أي الصفة الحسنى وهو أنه لا إله إلا الله منزه عن النقائص رب كل شيء ومالكه، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، لا شريك له ولا ند له ولا ولد وقوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ ثناء على نفسه بأعظم وصف العزة والقهر والغلبة لكل شيء والحكمة العليا في تدبيره وتصريفه شؤون عباده، وحكمه وقضائه لا إله إلا هو ولا رب سواه. وقوله تعالى في الآية (٦١) ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها[6]﴾ أي على الأرض

(١) دسّها: إخفاؤها في التراب عن الناس حتى لا تعرف، وفي الحديث: (من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كنّ له ستراً من النار يوم القيامة).

(٢) كانت مضر وخزاعة يدفنون البنات أحياء، وأشدهم في هذا تميم زعموا خوف القهر عليهن وطمع غير الأكفاء فيهن وكان صعصع بن ناجية عمّ الفرزدق إذا أحسّ بشيء من ذلك وجّه إلى والد البنت إبلا يستحييها بذلك، قال الفرزدق يفتخر:

وعمّي الذي منع الوائدات    فأحيى الوئيد فلم يوأد

(٣) تكرّر شرح هذه الآية في التفسير سهواً وهو غير ضار.

(٤) أي: صفة السوء من الجهل والكفر.

(٥) إن قيل: كيف أضاف المثل هنا إلى نفسه عزّ وجلّ وقد قال ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ فالجواب: إنّ قوله: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ معناه الأمثال التي توجب الأشباه والنقائص أي: لا تضربوا له مثلا يقتضي نقصاً وتشبيها بالخلق والمثل الأعلى هو وصفه تعالى بما لا شبيه له ولا نظير.

(٦) قال ابن مسعود رضي الله عنه وقرأ هذه الآية: لو آخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين لأصاب العذاب جميع الخلق حتى الجعلان في جحرها، ولأمسك الأمطار من السماء والنبات من الأرض فماتت الدّواب ولكن الله يأخذ بالعفو والفضل كما قال ﴿ويعفو عن كثير﴾.

﴿من دابةٍ﴾ أي نسمة تدب على الأرض من إنسانٍ أو حيوان فهذه علة عدم مؤاخذة الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم يفسدون ويجرمون وهذا الإهمال تابع لحكم عالية أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ أي وقت معين محدد قد يكون نهاية عمر كل أحـد، وقد يكون نهاية الحياة كلها فإذا جاء ذلك الأجل لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون عنه أخرى ثم يجزيهم بأعمالهم السيئة بمثلها وما هو عز وجل بظلام للعبيد.

وآخر آية في هذا السياق (٦٢) تضمنت التنديد بسوء حال الذين لا يؤمنون بالآخرة وذلك أنهم لجهلهم بالله وقبح تصورهم لظلمه نفسوهم أنهم يجعلون لله تعالى ما يكرهونه لأنفسهم من البنات والشركاء وسب الرسول وازدرائه، ومع هذا يتبجحون بالكذب بأن لهم الحسنى أي الجنة يوم القيامة. فرد تعالى على هذا الافتراء والهُراء السخيف بقوله: ﴿لا جرم﴾ أي حقاً وصدقاً ولا محالة ﴿أن لهم النار﴾ بدل الجنة ﴿وأنهم مفرطون﴾[1] إليها مقدمون متروكون فيها أبداً. هذا ما تضمنته الآية فى قوله تعالى: ﴿ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرَطون﴾[2] وإن قرئ مفرِطون باسم الفاعل فهم حقاً مفرِطون في الشر والفساد والكفر والضلال والانحطاط الى أبعد حد.

## هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان الحال الإجتماعية التي كان عليها المشركون وهي كراهيتهم للبنات خوف العار.

٢ـ بيان جهلهم بالرب تعالى فهم يؤمنون به ويجهلون صفاته حتى نسبوا اليه الولد والشريك.

٣ـ بيان العلة في ترك الظَّلَمة يتمادون زمناً في الظلم والشر والفساد.

٤ـ بيان سوء اعتقاد الذين لا يؤمنون بالآخرة وهو أنهم ينسبون إلى نفوسهم الحسنى ويجعلون لله ما يكرهون من البنات والشركاء وسب الرسل وامتهانهم.

---

(١) أفرط يفرط: إذا تقدّم لطلب الماء فهو مفرط وهم مفرطون، وعليه فقوله تعالى: ﴿مُفرطون﴾ معناه يتقدّمون غيرهم الى النار وهي قراءة ورش عن نافع وقرأ حفص مُفرَطون باسم المفعول ومعناه متروكون في النارَ منسيون فيها.

(٢) مفرَّطون: اسم فاعل من فرّط المضاعف إذا ضيّع الحقوق الواجبة عليه.

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن
قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾
وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا
فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾

## شرح الكلمات :

**تالله** : أي والله.

**أرسلنا إلى أمم من قبلك** : أي رسلاً.

**فزين لهم الشيطان أعمالهم** : فكذبوا لذلك الرسل.

**فهو وليهم اليوم** : أي الشيطان هو وليهم اليوم أي في الدنيا.

**إن في ذلك لآية** : أي دلالة واضحة على صحة عقيدة البعث الآخر.

**لآية لقوم يسمعون** : أي سماع تدبر وتفهم.

**لعبرةً** : أي دلالة قوية يعبر بها من الجهل إلى العلم لأن العبرة من العبور.

**من بين فرثٍ** : أي ثُفل الكِرْش، أي الرَّوْث الموجود في الكرش.

**لبناً خالصاً** : أي ليس فيه شيء من الفرث ولا الدم، لا لونه ولا رائحته ولا طعمه.

## معنى الآيات :

يقسم الله تعالى بنفسه لرسوله فيقول بالله يا رسولنا ﴿لقد أرسلنا﴾ رسلاً ﴿إلى أمم من قبلك﴾ كانوا مشركين كافرين كأمتك ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ فقاوموا رسلنا

وحاربوهم وأصروا على الشرك والكفر فتولاهم الشيطان، لذلك ﴿فهو وليهم اليوم﴾[1] أي في الدنيا ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذابٌ أليم﴾، والسياق الكريم في تسلية رسول الله ﷺ ولذا قال تعالى في الآية الثانية: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب﴾ أي لإرهاقك وتعذيبك ولكن لأجل أن تبين للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والشرك والهدى والضلال. كما أنزلنا الكتاب هدىً يهتدى به المؤمنون إلى سبل سعادتهم ونجاحهم، ورحمةً تحصل لهم بالعمل به عقيدةً وعبادةً وخلقاً وأدباً وحكماً، فيعيشون متراحمين تسودهم الأخوة والمحبة وتغشاهم الرحمة والسلام.

بعد هذه التسلية لرسول الله ﷺ عاد السياق إلى الدعوة الى التوحيد وعقيدة البعث والجزاء بعد تقرير النبوة المحمدية بقوله تعالى: ﴿تالله لقد أرسلنا﴾ الآية فقال تعالى: ﴿والله أنزل من[2] السماء ماء فأحيا بها الأرض بعد موتها﴾ الماء هو ماء المطر وحياة الأرض بالنبات والزرع بعدما كانت ميتة لا نبات فيها وقوله ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض بعد موتها ﴿لآية﴾ واضحة الدلالة قاطعة على وجوده تعالى وقدرته، وعلمه ورحمته كما هو آية على البعث بعد الموت من باب أولى. وقوله تعالى: ﴿وإن لكم في الأنعام[3] لعبرةً[4]﴾ أي حالاً تعبرون بها من الجهل إلى العلم.. من الجهل بقدرة الله ورحمته ووجوب عبادته بذكره وشكره إلى العلم بذلك والمعرفة به فتؤمنوا وتوحدوا وتطيعوا. وبين وجه العبرة العظيمة فقال: ﴿نسقيكم مما في بطونه[5]﴾ أي بطون المذكور من الأنعام ﴿من[6] بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾ فسبحان ذي القدرة العجيبة والعلم الواسع والحكمة التي لا يقادر قدرها.. اللبن يقع بين الفرث والدم،

---

(١) الشيطان الذي زيّن للذين كفروا أعمالهم حتى ضلوا وهلكوا هو وليّ الذين كفروا اليوم يزيّن لهم أعمالهم ليضلّهم فيهلكوا كما هلك من قبلهم، وفي الآية تسلية للرسول ﷺ.

(٢) كون المسند فعلاً وهو: أنزل من السماء ماء أفاد التخصيص أي: الله وحده الذي أنزل من السماء ماء والمراد من السماء: السحاب.

(٣) هناك مناسبة ظاهرة بين الآيتين وهي: كما أنّ الأرض تحيى بماء السماء كذلك الإنسان يحيى بالألبان.

(٤) اسم جمع لكل جماعة من أحد أصناف الإبل والبقر والضأن والمعز والعبر: ما يتعظ به ويعتبر.

(٥) البطون: جمع بطن وهو اسم للجوف الحاوية للجهاز الهضمي كلّه من معدة وكبد وأمعاء.

(٦) ﴿من﴾ زائدة لتوكيد التوسط أي: يفرز في حالة بين حالتي الفرث والدم وموقع: ﴿من بين فرث ودم﴾ موقع الصفة والموصوف: لبناً وقدّمت للاهتمام بها.

فينتقل الدم إلى الكبد فتوزعه على العروق لبقاء حياة الحيوان ، واللبن يساق إلى الضرع ، والفرث يبقى أسفل الكرش ، ويخرج اللبن خالصاً من شائبة الدم وشائبة الفرث فلا يرى ذلك في لون اللبن ولايشم في رائحته ولا يوجد في طعمه بدليل أنه سائغ للشاربين ، فلا يغص به شارب ولا يشرق به ، حقاً! انها عبرة من أجل العبر تنقل صاحبها إلى نور العلم والمعرفة بالله في جلاله وكماله ، فتورثه محبة الله وتدفعه إلى طاعته والتقرب إليه .

## هداية الآيـات

**من هداية الآيـات :**

١ـ بيان ان الله يقسم بنفسه وبما شاء من[1] خلقه .

٢ـ بيان أن الله أرسل رسلاً إلى أمم سبقت وأن الشيطان زين لها أعمالها فخذلها .

٣ـ تقرير النبوة وتسلية رسول الله ﷺ من جراء ما يلقاه من المشركين .

٤ـ بيان مهمة رسول الله وأنها بيان ما أنزل الله تعالى لعباده من وحيه في كتابه .

٥ـ بيان كون القرآن الكريم هدىً ورحمة للمؤمنين الذين يعملون به .

٦ـ دليل البعث والحياة الثانية احياء الأرض بعد موتها فالقادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الأموات بعد فنائهم وبلاهم .

وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا
حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ
أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى
مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ
ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

(١) نحو: ﴿والفجر﴾ ، ﴿والتين﴾ وما إلى ذلك إلاّ انّ بعض أهل العلم كمالك يرون أنّ المقسم به محذوف تقديره: وربّ الفجر، وربّ التين وهكذا.

## شرح الكلمات :

**ومن ثمرات النخيل والأعناب** : أي ومن بعض ثمرات النخيل والأعناب ثمرٌ تتخذون منه سكراً[1] أي خمرا ورزقاً حسناً أي والتمر والزبيب والخل والدبس الرزق الحسن

**وأوحى ربك الى النحل** : أي ألهمها أن تفعل ما تفعله بإلهام منه تعالى.

**ومما يعرشون** : أي يبنون لها.

**سبل ربك ذللاً** : أي طرق ربك مذللةً فلا يعسر عليك السير فيها ولا تضلين عنها.

**شراب** : أي عسل.

**فيه شفاء للناس** : أي من الأمراض إن شرب بنية الشفاء، أو بضميمته الى عقار آخر.

**إلى أرذل العمر** : أي أخَسّه من الهرم والخرف، والخرف فساد العقل.

## معنى الآيات :

مازال السياق في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته الموجبة لعبادته وحده والمقررة لعقيدة النبوة والبعث الآخر. قال تعالى في معرض بيان ذلك بأسلوب الامتنان المقتضي للشكر ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً﴾ ورزقاً حسناً أي ومن بعض ثمرات النخيل والأعناب ثمرٌ تتخذون منه سكراً أي شراباً مسكراً. وهذا كان قبل تحريم[2] الخمر ﴿ورزقاً حسناً﴾ وهو الزبيب والخل من العنب والتمر والدبس العسل من النخل وقوله ﴿ان في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾ أي أن فيما ذكرنا لكم لآية أي دلالة واضحة على قدرتنا وعلمنا ورحمتنا لقومٍ يعقلون الأمور ويدركون نتائج المقدمات، فذو القدرة والعلم والرحمة هو الذي يستحق التأليه والعبادة.. وقوله: ﴿وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾ هذا مظهر آخر عظيم من مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته يتجلى بإعلامه حشرة

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: السكر ما حرم من ثمرتيهما والرزق الحسن، ما أحل من ثمرتيهما، وليست الخمر مقصورة على العنب والتمر فقد خطب عمر وقال: أيّها الناس إنّ الله قد حرّم الخمر وهي من خمسة، من العنب والعسل والتمر والحنطة والشعير. والإجماع على أنّ كل مسكر حرام.

(٢) إن قيل: هذا خبر، والنسخ لا يكون في الأخبار؟ فالجواب: إن تضمّن الخبر حكماً شرعياً جاز نسخه، ومن أدلة ذلك هذا الخبر ونسخه.

النحل كيف تلد العسل وتقدمه للإنسان فيه دواء من كل داء. فقوله ﴿وأوحى ربك﴾ أيها الرسول ﴿إلى النحل﴾[1] بأن ألهمها ﴿أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر﴾ أيضاً بيوتاً، ﴿ومما يعرشون﴾[2] أي ومما يعرش الناس لَكِ أي يبنون لَكِ، اتخذي من ذلك بيوتاً لَكِ إذ النحلة تتخذ لها بيتاً داخل العريش الذي يعرش لها تبنيه بما تفرزه من الشمع وقوله تعالى: ﴿ثم كلي من كل الثمرات﴾ أي ألهمها أن تأكل من كل ما تحصل عليه من الثمرات من الأشجار والنباتات أي من أزهارها ونوارها وقوله لها ﴿فاسلكي سبل ربك ذللاً﴾[3] بإلهام منه تسلك ما سخر لها وذلك من الطرق فتنتقل من مكان إلى آخر تطلب غذاءها ثم تعود الى بيوتها لا تعجز ولا تضل وذلك بتذليل الله تعالى وتسخيره لها تلك الطرق فلا تجد فيها وعورة ولا تنساها فتخطئها. وقوله تعالى ﴿يخرج من[4] بطونها﴾ أي بطون النحل ﴿شراب﴾ أي عسل يشرب ﴿مختلف[5] ألوانه﴾ ما بين أبيض وأحمر وأسود، أو أبيض مشرب بحمرة أو يضرب إلى صفرة. وقوله تعالى: ﴿فيه شفاء للناس﴾ أي من الأدواء، هذا التذكير في قوله شفاء دال على بعض دون بعض جائز هذا حتى يضم إليه بعض الأدوية أو العقاقير الأخرى، أمّا مع النية أي أن يشرب بنية الشفاء من المؤمن فإنه شفاء لكل داء وبدون ضميمة أي شيء آخر له. وفي حديث الصحيح وخلاصته أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ استطلاق بطن أخيه أي مشْي بطنه عليه فقال له اسقه العسل، فسقاه فعاد فقال ما أراه زاده الا استطلاقا فعاد فقال مثل ما قال أولاً ثلاث مرات وفي الرابعة أو الثالثة قال له رسول الله ﷺ صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه العسل فسقاه فقام كأنما نشط من عقال. وقوله تعالى ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من إلهام الله تعالى للنحل وتعليمها كيف تصنع العسل ليخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس لدلالة واضحة على

---

(١) قيل: سمي النحل نحلا: لأنّ الله تعالى نحله العسل الذي خرج منه.

(٢) بيوت النحل في ثلاثة، في الجبال وكواها، ومتجوّف الأشجار، وما يعرش لها من الأجباح والخلايا والحيطان، وعرش يعرش: إذا بنى عريشا من الأغصان والخشب، ومن عجيب ما ألهم الله النحل أنّه يجعل بيوته مسدسة الشكل.

(٣) اللّفظ صالح لأن يكون لفظ ذللا المراد به النحلة نفسها وذلل جمع ذلول وهي المنقادة المطيعة المسخرة، وصالح أن يكون المراد به الطرق التي تسلكها النحلة كما في التفسير.

(٤) روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في تحقير الدنيا: أشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة وأشرف شرابه فيها رجيع نحلة.

(٥) بحسب تنويع الغذاء كما أنّ الطعم يختلف باختلاف المراعي ومن هذا المعنى قول زينب رضي الله عنها جرست نحله العرفط حين شبهت رائحته برائحة المغافير والعرفط شجر الطلح له صمغ كريه الرائحة.

علم الله وقـدرته ورحمته وحكمته المقتضية عبادته وحده وتأليهه دون سواه ولكن لقوم يتفكرون في الأشياء وتكـوينهـا وأسبـابهـا ونتـائجهـا فيهتـدون إلى المـطلوب منهم وهـو أن يذكـروا فيتعـظوافيتـوبـوا إلى خالقهم ويسلمـوا له بعبـادتـه وحـده دون سواه وقـولـه تعـالى في الآية الأخرى (٧٠) ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علمٍ شيئاً﴾ هذه آية أخـرى أجـل وأعـظم في الدلالة على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته، وهي موجبة لعبادته وحده وملزمة بالإيمان بالبعث الآخر فخلق الله تعالى لنا وحـده وهو واحد ونحن لا يحصى لنا عد، ثم إماتته لنا موتاً حقيقياً بقبض أرواحنا ولا يستطيع أحد أن لا يموت ولا يتوفى أبداً ثم من مظاهر الحكمة أن يتوفانا من أجالٍ مختلفة اقتضتها الحكمة لبقاء النوع واستمرار الحياة إلى نهايتها. فمن الناس من يموت طفلاً ومنهم من يموت شاباً، وكلها حسب حكمة الابتلاء والتربية الإلهية، وآية أخرى ان منا من يرد إلى أرذل عمره، أي أرداه وأخسّه فيهرم ويخرف فيفقد ما كان له من قوة بدنٍ وعقل ولا يستطيع أحد أن يخلصه من ذلك إلا الله، مظهر قدرة ورحمة أرأيتم لو شاء الله أن يرد الناس كلهم إلى أرذل العمر ولو في قرنٍ أو قرنين من السنين فكيف تصبح حياة الناس يومئذٍ؟ وقوله: ﴿إن الله عليم قدير﴾ تقرير لعلمه وقدرته، إذ ما نتج وما كان ما ذكره من خلقنا ووفاتنا ورد بعضنا الى أرذل العمر إلا بقدرة قادر وعلم عالم وهو الله العليم القدير.

## هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ بيان منة الله تعالى على العباد بذكر بعض أرزاقهم لهم ليشكروا الله على نعمه.

٢ـ بيان آيات الله تعالى الدالة على قدرته وعلمه وحكمته في خلق شراب الإنسان وغذائه ودوائه.

٣ـ فضيلة العقل والتعقل والفكر والتفكر.

٤ـ تقرير عقيدة الإيمان باليوم الآخر الدال عليه القدرة والعلم الإلهيين، إذ من خلق وأماتَ لا يُستنكر منه أن يخلق مرة أخرى ولا يميت.

وَٱللَّهُ

فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي

رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ
ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾
وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞

## شـرح الكـلمات :

**فضل بعضكم على بعض في الرزق** : أي فمنكم الغني ومنكم الفقير، ومنكم المالك ومنكم المملوك.

**برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم** : أي بجاعلي ما رزقناهم شركة بينهم وبين مماليكهم من العبيد.

**والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا** : إذ حواء خلقت من آدم وسائر النساء من نطف الرجال.

**وحـفدة** : أي خدماً من زوجه وولد وولد ولد وخادم وختن.

**أفبالباطل يؤمنون** : أي بعبادة الأصنام يؤمنون.

**رزقاً من السموات والأرض** : أي بإنزال المطر من السماء، وإنبات النبات من الأرض.

## معنى الآيات :

مازال السياق العظيم في تقرير التوحيد وإبطال التنديد. فقوله تعالى: ﴿والله فضل

بعضكم على بعضٍ[1] في الرزق﴾ فمنكم من أغناه ومنكم من أفقره أيها الناس،[2] وقد يكون لأحدكم أيها الأغنياء عبيد مملوكين لـــه، لـــم لا يرضـــى أن يشـــرك عبيـــده فـــي أمواله حتى يكونوا فيها سواء لا فضل لأحدهما على الآخر؟ والجواب أنكم تقولون في استنكار عجيب كيف أُسوِّي مملوكي في رزقي فأصبح وإياه سواء؟ هذا لا يعقل أبداً! إذاً كيف جوزتم إشراك آلهتكم في عبادة ربكم وهي مملوكة لـه تعالى إذ هو خالقها وخالقكم ومـالـك جميعكم؟ فأين يذهب بعقـولكم أيهـا المشركون؟ وقوله تعالى ﴿أفبنعمة الله يجحـدون﴾؟ حقاً إنهم جحـدوا نعمة العقل أولاً فلم يعترفوا بها فلذا لم يفكروا بعقولهم، ثم جحـدوا نعمة الله عليهم في خلقهم ورزقهم فلم يعبدوه بذكره وشكره وعبدوا غيره من أصنام وأوثان لا تملك ولا تضر ولا تنفع. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٧١) أما الآية الثـانية فيقول تعالى فيها مقرراً إنعامه تعالى على المشركين بعد توبيخهم على إهمال عقولهم في الآية الأولى وكفرهم بنعم ربهم فيقول: ﴿والله﴾ أي وحده ﴿جعل لكم من[3] أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات﴾ أي جعل لكم من أنفسكم أزواجـاً[4] أي بشـريّات من جنسكم تسكنـون إليهنَّ وتتفـاهمون معهن وتتعاونون بحكم الجنسية الأدمية وهي نعمة عظمى، وجعل لكم من أولئك الأزواج بنين بطريق التنـاسـل والولادة وحفدة أيضاً والمراد من الحفدة كل من يحفد أي يسرع في خدمتك وقضاء حاجتك من زوجتك وولدك وولد ولدك وختنك أي صهرك، وخادمك إذ الكل يحفدون لك أي يسارعون في خدمتك بتسخير الله تعالى لك، وثالثاً ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ أي حلال الطعام والشراب على اختلافه وتنوع مذاقه وطعمه ولذته. هذا هو الله الذي تُدعوْن إلى عبادته وحده فتكفرون فأصبحتم بذلك تؤمنون بالباطل وهي الأصنام

---

(١) هذا استدلال على قدرة الله وتدبيره وقهره لعباده إذ فضل بعضهم على بعض في الرزق تفضيلا عجيباً هذا غني، وهذا فقير، هذا موسر، وهذا معسر فقد يفتقر الذكي القوي ويستغني البليد الضعيف كما قيل:

ومن الدليل على القضاء وكونه    بؤس اللّبيب وطيب عيش الأحمق

والآية متضمنـة مثـلا ضربـه لعبـادة الأصنـام، ونـظير هذه المُثل في سورة الروم في قوله تعالى: ﴿ضرب لكم مثلا من أنفسكم..﴾ الخ.

(٢) يريد أنّ أغنياءهم لا يشـاطـرون عبيدهم رزقهم فيستـووا فيه فكيف يرضون لله مالا يرضونه لأنفسهم كما في قوله: ﴿ويجعلون لله البنات ولهم ما يشتهون﴾ أي: البنون.

(٣) أي: من نوعكم، ومِنْ للابتداء ومِنْ في قوله تعالى: ﴿وجعل لكم من أزواجكم﴾ للتبعيض.

(٤) الأزواج: جمع زوج وهو ما يُكوِّن مع آخر اثنين.

وعبادتها، وتكفرون بالمنعم ونعمه ولذا استحقوا التوبيخ والتقريع فقال تعالى: ﴿أفبالباطل[1] يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون﴾؟ إذ عدم عبادتهم للمنعم عز وجل هو عين كفرانهم بنعمة الله تعالى. وقوله ﴿ويعبدون من دون الله﴾ أي أصناماً لا تملك لهم ﴿رزقاً من السماء﴾ بإنزال المطر، ﴿والأرض﴾ بإنبات الزروع والثمار شيئاً ولو قَلَّ ولا يستطيعون شيئاً من ذلك لعجزهم القائم بهم لأنهم تماثيل منحوتة من حجر أو خشب وفي هذا من التنبيه لهم على خطأهم مالا يقادر قدره. وقوله تعالى: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال[2] إن الله[3] يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ أي ينهاهم تعالى عن ضرب الأمثال لله باتخاذ الأصنام آلهة بإطلاق لفظ إله عليها، والله لا مثل له، وباعتقاد أنها شافعة لهم عند الله وأنها تقربهم إليه تعالى، وأنها واسطة بمثابة الوزير للأمير إلى غير ذلك، فنهاهم عن ضرب هذه الأمثال لله تعالى لأنه عز وجل يعلم أنه لا مثل له ولا مثال، بل هو الله الذي لا إله إلا هو تعالى عن الشبيه والمثيل والنظير، وهم لا يعلمون فلذا هم متحيرون متخبطون في ظلمات الشرك وأودية الضلال.

## هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ قطع دابر الشرك في المثل الذي حوته الآية الأولى: ﴿والله فضل بعضكم على بعضٍ في الرزق﴾.

٢ـ وجوب شكر الله تعالى على نعمه وذلك بذكره وشكره وإخلاص ذلك له.

٣ـ قبح كفر النعم وتجاهل المنعم بترك شكره عليها.

٤ـ التنديد بمن يضربون لله الأمثال وهم لا يعلمون باتخاذ وسائط له تشبيهاً لله تعالى بعباده فهم يتوسطون بالأولياء والأنبياء بدعائهم والاستغاثة بهم بوصفهم مقربين إلى الله تعالى يستجيب لهم، ولا يستجيب لغيرهم.

---

(١) الباطل: ضد الحق لأنّ مالا يخلق لايعبد، فإن عُبد فقد عبد بالباطل، والجملة تحمل توبيخاً كبيراً للمشركين.

(٢) الأمثال: جمع مثل بفتحتين بمعنى المماثِل كشبه بمعنى مشابه، ومعنى. ضربهم الأمثال لله تعالى: هو أنهم أثبتوا للأصنام صفات الإلهية وشبّهوها بالخالق عزّ وجلّ حيث عبدوها بالنذر لها وبالذبح والدعاء والإقسام بها والعكوف حولها.

(٣) جملة: ﴿إنّ الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ تعليلية لنهيهم عن ضرب الأمثال لله تعالى. فنهيه تعالى لهم عن ضرب الأمثال لعلمه عزّ وجلّ أنه لا مثل له، وأنّ ما يضربونه له باطل، وهو تعالى منزّه عنه.

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا
فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ
مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن
يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ
أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ
أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ
لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

شـرح الكلمات :

**ضرب الله مثلاً** : أي هو عبداً مملوكاً الخ . .

**عبداً مملوكاً** : أي ليس بحرٍ بل هو عبد مملوك لغيره .

**هل يستوون** : أي العبيد العجزة والحُر المتصرف، والجواب: لا يستوون قطعاً.

**وضرب الله مثلاً** : أي هو رجلين الخ . .

**أبـكم** : أي ولد أخرس وأصم لا يسمع .

**لا يقدر على شيء** : أي لا يَفهَمُ ولا يُفهِمُ غيره .

**ولله غيب السموات والأرض** : أي ما غاب فيهما .

**وما أمر الساعة** : أي أمر قيامها، وذلك بإماتة الأحياء وإحيائهم مع من مات قبل وتبديل صور الأكوان كلها .

**الأفـــئدة** : أي القلوب.

## معنى الآيات :

مازال السياق في تقرير التوحيد والدعوة إليه وإبطال الشرك والتنفير منه وقد تقدم أن الله تعالى جهل المشركين في ضرب الأمثال له وهو لا مثل له ولا نظير، وفي هذا السياق ضرب تعـالى مثلين وهـو العليم الخبير. . فالأول قال فيه: ﴿ضـرب الله مثـلاً عبـداً مملكوكاً﴾ أي غير حر من أحرار الناس، ﴿لا يقدر على شيء﴾ إذ هو مملوك لاحق له في التصرف في مال سيده إلا بإذنه،[1] فلذا فهو لا يقدر على إعطاء أو منع شيء، هذا طرف المثل، والثاني ﴿ومن رزقناه منا رزقاً حسناً﴾ صالحاً واسعاً ﴿فهو ينفق منه سراً وجهراً﴾ ليلاً ونهاراً لأنه حر التصرف بوصفه مالكاً ﴿هل يستوون﴾[2]؟ الجواب لا يستويان. . إذاً ﴿الحمـد لله بل أكثـرهم[3] لا يعلمون﴾ والمثل مضروب للمؤمن والكافر، فالكافر أسير للأصنام عبدٌ لها لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، لا يعمل في سبيل الله ولا ينفق لأنه لا يؤمن بالدار الآخرة، والجزاء فيها، وأما المؤمن فهو حرٌ يعمل بطاعة الله فينفق في سبيل الله سراً وجهراً يبتغي الآخرة والمثوبة من الله، ذا علمٍ وإرادة، لا يخاف إلا الله ولا يرجو الا هو سبحانه وتعالى. وقوله: ﴿وضرب الله مثلاً رجلين﴾ هو المثال الثاني في هذا السياق[4] وقـد حوته الآية الثانية (٧٦) فقال تعالى فيه ﴿وضرب الله مثلاً﴾ هو ﴿رجلين أحدهما أبكم﴾ ولفظ الأبكم قد يدل على الصمم فالغالب أن الأبكم لا يسمع ﴿لا يقدر على شيء﴾ فلا يَفهم غيره لأنه أصم ولا يُفهم غيره لأنه أبكم، ﴿وهو كلٌ على[5] مولاه﴾ أي ابن عمـه أو من يتولاه من أقربائه يقومون بإعاشته ورعايته لعجزه وضعفه وعدم قدرته على شيء. وقوله: ﴿أينما يوجهه لا يأت بخير﴾ أي أينما يوجهه مولاه وابن عمه ليأتي بشيء

---

(١) هذه الآية منزع الفقهاء في ملكية العبد وعدمها، فذهب مالك إلى أنّ العبد يملك بإذن سيده، وهو ناقص الملك، وقال أبو حنيفة والشافعي في الجديد: العبد لا يملك شيئا، وقالوا: الرّق ينافي الملك، وقول الرسول ﷺ: (من أعتق عبداً وله مال) شاهد لمن قال يملك ملكاً ناقصا.

(٢) لم يقل يستويان لأنّ مَنْ صالحة للواحد والجماعة.

(٣) لا يعلمون أن الله هو المستحق للحمد دون آلهتهم لأنّ الله تعالى هو المنعم بالخلق والرزق، والأصنام لا تخلق ولا ترزق فلذا الحمد له وحده.

(٤) هذا مثل آخر ضربه تعالى لنفسه وللمؤمن. قاله قتادة وغيره.

(٥) أي: ثقل على وليّه وقرابته ووبال على صاحبه وابن عمّه.

لا يأتي بخير، وقد يأتي بشر، أمّا النفع والخير فلا يحصل منه شيء.

وهذا مثل الأصنام التي تعبد من دون الله إذ هي لا تسمع ولا تبصر فلا تفهم ما يقال لها، ولا تُفهم عابديها شيئاً وهي محتاجة إليهم في صُنْعِها ووضعها وحملها وحمايتها. وقوله تعالى ﴿هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراطٍ مستقيم﴾ وهو الله تعالى يأمر بالعدل أي بالتوحيد والاستقامة في كل شيء، وهو قائم على كل شيء، وهو على صراطٍ مستقيم يدعو الناس إلى سلوكه لينجوا ويسعدوا في الدارين. فالجواب، لا يستويان بحال، فكيف يرضى المشركون بعبادة وولاية الأبكم الذي لا يقدر على شيء ويتركون عبادة السميع البصير، القوي، القدير، الذي يدعوهم إلى كمالهم وسعادتهم في كلتا حياتهم، أمر يحمل على العجب، ولكن لا عجب مع أقدار الله وتدابير الحكيم العليم.

وقوله تعالى في الآية (٧٧) ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾[١] وحده يعلم ما غاب عنا فيهما فهو يعلم من كُتبت له السعادة ومن حُكم عليه بالشقاوة، ومن يهتدي ومن لا يهتدي، والجزاء آتٍ بإتيان الساعة ﴿وما أمر الساعة﴾[٢] أي إتيانها ﴿إلا كلمح[٣] البصر أو هو أقرب﴾[٤] إذ لا يتوقف أمرها الا على كلمة ﴿كن﴾ فقط فتنتهي هذه الحياة بكل ما فيها، وتأتي الحياة الأخرى وقد تبدلت صور الأشياء كلها ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ ومن ذلك قيام القيامة، ومجيء الساعة. وقوله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون[٥] أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾[٦] حقيقة لا تُنكر، الله الذى أخرجنا من بطون أمهاتنا بعد أن صورنا في الأرحام ونمانا حتى صرنا بشراً ثم أذن بإخراجنا، فأخرجنا، وخرجنا لا نعلم شيئاً قط، هذه آية القدرة الإلهية والعلم الإلهي والتدبير الإلهي، فهل للأصنام شيء من ذلك، والجواب لا،لا وثانياً جعل الله تعالى لنا الأسماع والأبصار والأفئدة نعمة أخرى، إذ لو لا ذلك ما سمعنا ولا أبصرنا ولا عقلنا وما قيمة حياتنا يومئذٍ، إذْ العدم خيرٌ منها. وقوله:

(١) ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾: اللام لام الملك، والغيب مصدر بمعنى اسم الفاعل أي: الأشياء الغائبة، والغيب. ما غاب عن أعين الناس.

(٢) الساعة: هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة، سميت ساعة لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت الخلق بصيحة.

(٣) اللّمح: النظر بسرعة يقال لمحه لمحاً ولمحاناً.

(٤) ليس (أو) للشك وإنما هي بمعنى بل الانتقالية من شيء إلى آخر كقوله ﴿فارسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ أي: بل يزيدون.

(٥) البطون: جمع بطن وهو ما بين ضلوع الصدر إلى العانة، وفيه الأمعاء والمعدة والكبد والرحم.

(٦) الشكر: الاعتراف بالنعمة لله وحمده عليها وصرفها فيما يرضيه تعالى.

﴿لعلكم تشكرون﴾ كشف كامل عن سر هذه النعمة وهي أنه جعلنا نسمع ونبصر ونعقل ليكلفنا فيأمرنا وينهانا فنطيعه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وذلك شكره منا مع ما في ذلك الشكر من خير. إنه إعداد للسعادة في الدارين. فهل من متذكر يا عباد الله؟!

**هداية الآيات**

**من هداية الآيات :**

١ـ استحسان ضرب الأمثال وهو تشبيه حال بحال على أن يكون ضارب المثل عالماً.

٢ـ بيان مثل المؤمن في كماله والكافر في نقصانه.

٣ـ بيان مثل الأصنام في جمودها وتعب عَبَدتِها عليها في الحماية وعدم انتفاعهم بها. ومثل الرب تبارك وتعالى في عدله، ودعوته إلى الإسلام وقيامه على ذلك مع استجابة دعاء أوليائه، ورعايتهم، وعلمه بهم وسمعه لدعائهم ونصرتهم في حياتهم وإكرامهم والإنعام عليهم في كلتا حياتهم. ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم.

أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ
مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾
وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ
ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ
وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ
﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ
ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ

﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾

## شرح الكلمات :

**مسخراتٍ في جو السماء** : أي مذللات في الفضاء بين السماء والأرض وهو الهواء.

**ما يمسكهن** : أي عند قبض أجنحتها وبسطها إلا الله تعالى بقدرته وسننه في خلقه.

**من بيوتكم سكناً** : أي مكاناً تسكنون فيه وتخلدون للراحة.

**من جلود الأنعام بيوتاً** : أي خياماً وقباباً.

**يوم ظعنكم** : أي ارتحالكم في أسفاركم.

**أثاثاً ومتاعاً إلي حين** : كبُسط وأكسية تبلى وتتمزق وتُرمى.

**ظلالاً ومن الجبال أكناناً** : أي ما تستظلون به من حر الشمس، وما تسكنون به في غيران الجبال.

**وسرابيل** : أي قمصاناً تقيكم الحر والبرد.

**وسرابيل تقيكم بأسكم** : أي دروعاً تقيكم الضرب والطعان في الحرب.

**لعلكم تسلمون** : أي رجاء أن تسلموا له قلوبكم ووجوهكم فتعبدوه وحده.

## معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير التوحيد والدعوة إليه وإبطال الشرك وتركه فيقول تعالى: ﴿ألم[1] يروا إلى الطير مسخرات[2] في جو السماء ما يمسكهن[3] إلا الله﴾ فإن في خلق الطير على اختلاف أنواعه وكثرة أفراده، وفي طيرانه في جو[4] السماء، أي في الهواء وكيف يقبض جناحيه وكيف يبسطها ولا يقع على الأرض فمن يمسكه غير الله بما شاء من تدبيره في خلقه وأكوانه إن في ذلك المذكور لآياتٍ عدة تدل على الخالق وقدرته وعلمه وتوجب معرفته

---

(١) قرىء بالتاء: ﴿ألم تروا﴾ وقرىء بالياء وهي قراءة الأكثر.

(٢) ﴿مسخرات﴾: أي: مذللات لأمر الله تعالى، ومذللات لمنافعكم أيضاً.

(٣) ﴿ما يمسكهن﴾ أي: في حال القبض والبسط والاصطفاف إلا الله عزّ وجلّ.

(٤) ﴿جو السماء﴾ هو الفضاء الذي بين السماء والأرض، وإضافته إلى السماء لأنه يبدو متصلا بالقبة الزرقاء فيما يخال الناظر.

والتقرب إليه وطاعته بعبادته وحده، كما تدل على بطلان تأليه غيره وعبادة سواه، وكون الآيات لقوم يؤمنون هو باعتبار أنهم أحياء القلوب يدركون ويفهمون بخلاف الكافرين فإنهم أموات القلوب فلا إدراك ولا فهم لهم، فلم يكن لهم في ذلك آية. . وقوله: ﴿والله جعل[1] لكم من بيوتكم سكناً﴾ أي موضع سكونٍ وراحة، ﴿وجعل لكم من[2] جلود الأنعام﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿بيوتاً﴾ أي خياماً وقباباً ﴿تستخفونها﴾ أي تجدونها خفيفة المحمل ﴿يوم ظعنكم﴾ أي ارتحالكم في أسفاركم وتنقلاتكم ﴿ويوم إقامتكم﴾ في مكان واحد كذلك. وقوله: ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها﴾ أي جعل لكم منه ﴿أثاثاً﴾ كالبسط الفرش والأكسية(متاعاً) أي تتمتعون بها﴿إلى حين بلاها وتمزقها[3] وقوله: ﴿والله جعل لكم مما خلق﴾ من أشياء كثيرة ﴿ظلالاً﴾ تستظلون بها من حر الشمس ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً[4]﴾ تكنون فيها أنفسكم من المطر والبرد أو الحر وهي غيران وكهوف في الجبال ﴿وجعل لكم سرابيل﴾ قمصان ﴿تقيكم الحر﴾ والبرد ﴿وسرابيل﴾ هي الدروع ﴿تقيكم بأسكم﴾ في الحرب تتقون بها ضرب السيوف وطعن الرماح. أليس الذي جعل لكم هذه كلها أحق بعبادتكم وطاعتكم، وهكذا ﴿يتم نعتمه عليكم﴾ فبعث إليكم رسوله وأنزل عليكم كتابه لِيُعِدّكم للإسلام فتسلموا. وهنا وبعد هذا البيان الواضح والتذكير البليغ يقول لرسوله ﴿فإن تولوا﴾ أي أعرضوا عما ذكرتهم به فلا تحزن ولا تأسف إذ ليس عليك هداهم ﴿فإنما عليك البلاغ المبين﴾ وقد بلغت وبينت. فلا عليك بعد شيء من التبعة والمسؤولية. وقوله: ﴿يعرفون نعمت الله﴾ أي نعمة الله عليهم كما ذكّرناهم بها ﴿ثم ينكرونها﴾ فيعبدون غير المُنعم بها ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ أي الجاحدون المكذبون بنبوتك ورسالتك والإسلام الذي جئت به.

---

(١) ﴿جعل﴾: بمعنى أوجد وهذا شروع في تعداد النعم التي أنعم بها الخالق عزّ وجلّ على العباد، والسكن: مصدر والمنة في كونه تعالى جعل الإنسان يسكن ويتحرّك ولو شاء لجعله متحرّكا دائما كالأفلاك في السماء أو جعله كالأرض ساكناً أبداً.

(٢) بعد أن ذكر تعالى السكن في الدور ذكر السكن في البيوت المتنقلة وهي الخيام والقباب.

(٣) في الآية دليل على حليّة جلود الميتة ولكن بعد دبغها لحديث: (أيّما إهاب دبغ فقد طهر).

(٤) الأكنان: جمع كن وهو: ما يكن عن الحرّ والريح والبرد وهو الغار في الجبل.

## هداية الآيـات

**من هداية الآيـات :**

١ـ لا ينتفع بالآيات إلا المؤمنون لحياة قلوبهم، أما الكافرون فهم في ظلمة الكفر لا يرون شيئاً من الآيات ولا يبصرون.

٢ـ مظاهـر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته ونعمه تتجلى في هذه الآيات الأربع ومن العجب أن المشركين كالكافرين عمي لا يبصرون شيئاً منها وأكثرهم الكافرون.

٣ـ مهمة الرسول ﷺ ليست هداية القلوب وانما هي بيان الطريق بالبلاغ المبين.

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ
قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ
فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟
إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ
ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ
أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ
هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞

## شـرح الكلمـات :

**ويوم نبعث** : أي اذكر يوم نبعث.

**شـــهيداً** : هـو نبيها.

**لا يؤذن للذين كفروا** : أي بالاعتذار فيتعذرون.

**ولا هم يستعتبون** : أي لا يطلب منهم العتبى أي الـرجوع إلى اعتقاد وقول وعمل ما يرضي الله عنهم.

**وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم** : أي الذين كانوا يعبدونهم من دون الله كالأصنام والشياطين.

**فألقوا إليهم القول** : أي ردوا عليهم قائلين لهم إنكم لكاذبون.

**وألقوا الى الله يومئذٍ السلم** : أي ذلوا له وخضعوا لحكمه واستسلموا.

**وضل عنهم ما كانوا يفترون** : من أن آلهتهم تشفـع لهم عنـد الله وتنجيهم من عذابه، ومعنى ضل غاب.

**عذاباً فوق العذاب** : أنه عقارب وحيات كالنُّخل الطوال والبغال الموكفة.

**ونزلنا عليك الكتاب** : أي القـرآن.

**تبياناً لكل شيء** : أي لكل ما بالأمة من حاجة إليه في معرفة الحلال والحرام والحق والباطل والثواب والعقاب.

## معنى الآيات :

انحصر السياق الكريم في هذه الآيات الست في تقرير البعث والجزاء مع النبوة فقوله تعـالى: ﴿يوم نبعث[1]﴾ أي اذكـر يا رسـولنا محمد يوم نبعث ﴿من كل أمة﴾ من الأمم ﴿شهيداً﴾ هو نبيها الذي نبىء فيها وأرسل إليها ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ أي بالاعتذار فيعتذرون ﴿ولا هم يستعتبون[2]﴾ أي لا يطلب منهم العتبى[3] أي الرجوع الى اعتقاد وقول وعمل يرضي الله عنهم أي اذكر هذا لقومك، علهم يذكرون فيتعظون، فيتوبون، فينجون

(١) نظير هذه الآية آية النساء: ﴿فكيف إذا جئنا من كلّ أمة بشهيد..﴾ الآية.

(٢) أي: لا يكلّفون أن يرضوا ربهم لأنّ الآخرة ليست دار تكليف ولا يمكنون من الرجوع إلى الدنيا فيتوبون.

(٣) العتبى: الرضا، والفعل: عتب يعتب عليه إذا وجد عليه في نفسه وأعتبه: إذا أزال المزجدة ورجع إلى مسرّته وفي الحديث: (لك العتبى حتى ترضى) والعتبى: رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب وهو المراد في الحديث.

ويسعدون. وقوله في الآية الثانية (٨٥) ﴿وإذا رأى الذين ظلموا العذاب﴾ [١] أي يوم القيامة ﴿ فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون﴾ أي يمهلون. اذكر هذا أيضاً تذكيراً وتعليماً، واذكر لهم ﴿إذا رأى الذين أشركوا شركاءهم﴾ [٢] في عرصات القيامة أو في جهنم صاحوا قائلين ﴿ربنا﴾ أي يا ربنا ﴿هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك﴾ أي نعبدهم بدعائهم والإستغاثة بهم، ﴿فألقوا اليهم القول﴾ فوراً ﴿إنكم لكاذبون﴾. ﴿وألقوا إلى الله يومئذٍ السلم﴾ أي الإستسلام فذلوا لحكمه ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ في الدنيا من ألوان الكذب والترهات كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وأنهم ينجون من النار بشفاعتهم، وأنهم وسيلتهم إلى الله كل ذلك ضل أي غاب عنهم ولم يعثروا منه على شيء. وقوله تعالى: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ غيرهم بالدعوة إلى الكفر وأسبابه والحمل عليه أحياناً بالترهيب والترغيب ﴿زدناهم عذاباً فوق العذاب﴾ الذي استوجبوه بكفرهم. ورد أن هذه الزيادة من العذاب أنها عقارب كالبغال الدهم، وأنها حيات كالنخل الطوال والعياذ بالله تعالى من النار وما فيها من أنواع العذاب، وقوله تعالى: ﴿ويوم نبعث﴾ أي اذكر يا رسولنا يوم نبعث ﴿في كل أمةٍ شهيداً﴾ أي يوم القيامة ﴿عليهم من أنفسهم﴾ [٣] وجئنا بك شهيداً على هؤلاء﴾ أي على من أرسلت إليهم من أمتك. فكيف يكون الموقف إذ تشهد على أهل الإيمان بالإيمان وعلى أهل الكفر بالكفر. وعلى أهل التوحيد بالتوحيد، وعلى أهل الشرك بالشرك إنه لموقف صعب تعظم فيه الحسرة وتشتد الندامة.. وقوله تعالى في خطاب رسوله مقرراً نبوته والوحي إليه ﴿ونزلنا عليك الكتاب﴾ أي القرآن ﴿تبياناً [٤] لكل شيء﴾ الأمة في حاجة إلى معرفته من الحلال والحرام والأحكام والأدلة ﴿وهدى﴾ من كل ضلال ﴿ورحمة﴾ خاصة بالذين يعملون به ويطبقونه على أنفسهم وحياتهم فيكون

---

(١) أي: عذاب جهنم بالدخول فيها.

(٢) أي: أصنامهم وأوثانهم التي عبدوها، وذلك لأنّ الله تعالى يبعث معبوديهم فيتبعونهم حتى يوردوهم النار، روى مسلم: (من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت..) الحديث، وفي الترمذي: (فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون).

(٣) الشهداء: هم الأنبياء والعلماء، فالنبي يشهد على أمته والعالم يشهد على من أمره ونهاه ودلّ هذا على أنه لم تخل فترة من وجود داعٍ إلى الله تقوم به الحجة لله تعالى فقد قال رسول الله ﷺ في زيد بن عمرو بن نفيل (يبعث امة وحده). ومثل زيد قس وورقة وسطيح.

(٤) التبيان: مصدر دال على المبالغة في المصدرية وأريد به هنا اسم الفاعل أي: المبيِّن لكل شيء.

رحمة عامة بينهم ﴿وبشرى للمسلمين﴾[1] أي المنقادين لله في أمره ونهيه بشرى لهم بالأجر العظيم والثواب الجزيل يوم القيامة، وبالنصر والفوز والكرامة في هذه الدار. وبعد إنزالنا عليك هذا الكتاب فلم يبق من عذر لمن يريد أن يعتذر يوم القيامة ولذا ستكون شهادتك على امتك أعظم شهادة وأكثرها أثراً على نجاة الناجين وهلاك الهالكين ولا يهلك على الله إلا هالك.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات :**

١ـ تقرير عقيدة البعث الآخر بما لا مزيد عليه لكثرة ألوان العرض لما يجرى في ذلك اليوم.

٢ـ براءة الشياطين والأصنام الذين أشركهم الناس في عبادة الله من المشركين بهم والتبرؤ منهم وتكذيبهم.

٣ـ زيادة العذاب لمن دعا الى الشرك والكفر وحمل الناس على ذلك.

٤ـ لا عذر لأحد بعد أن أنزل الله تعالى القرآن تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين.

إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ
وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ
وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ
﴿٩٠﴾ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ
بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ
ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ
غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا

(١) خُصّ المسلمون دون غيرهم لأنّ غيرهم أعرضوا عنه فحرموا الهدى والرحمة والبشرى في الدارين.

بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ
ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن
يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

## شرح الكلمات :

العدل : الإنصاف ومنه التوحيد.

الإحسان : أداء الفرائض وترك المحارم مع مراقبة الله تعالى.

وايتاء ذي القربى : أي إعطاء ذي القربى حقوقهم من الصلة والبر.

عن الفحشاء : الزنا.

يعظكم : أي يأمركم وينهاكم

تذكرون : أي تتعظون

توكيدها : أي تغليظها

نقضت غزلها : أي أفسدت غزلها بعد ما غزلته.

من بعد قوة : أي أحكام له وبرم.

أنكاثاً : جمع نكث وهو ما ينكث ويحل بعد الإبرام.

كالتي نقضت غزلها : هي حمقاء مكة وتدعى رَيْطَة بنت سعد بن تيم القرشية.

دخلاً بينكم : الدخل ما يدخل في الشيء وهو ليس منه للإفساد والخديعة.

أربى من أمة : أي أكثر منها عدداً وقوة.

## معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل﴾[1] أي أن الله يأمر في الكتاب الذي أنزله تبياناً لكل شيء، يأمر بالعدل وهو الإنصاف ومن ذلك أن يعبد الله بذكره وشكره لأنه الخالق المنعم

(١) ورد في فضل هذه الآية أنّ عثمان بن مظعون رضي الله عنه قال: ما أسلمت ابتداء إلّا حياءً من رسول الله ﷺ وكان أخاه من الرضاعة حتى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الإيمان في قلبي فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال: يا ابن أخي أعِد فأعدت فقال: والله إنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة وإنّ أصله لمورق وأعلاه لمثمر وما هو بقول بشر.

وتترك عبادة غيره لأن غيره لم يخلق ولم يرزق ولم ينعم بشيء . ولذا فسر هذا اللفظ بلا إله إلا الله ، ﴿والإحسان﴾[1] وهو أداء الفرائض واجتناب المحرمات مع مراقبة الله تعالى في ذلك حتى يكون الأداء على الوجه المطلوب إتقاناً وجودة والإجتناب خوفاً من الله حياء منه ، وقوله ﴿وإيتاء ذي القربى﴾ أي ذوي القرابات حقوقهم من البر والصلة . هذا مما أمر الله تعالى به في كتابه ، ومما ينهى عنه الفحشاء وهو الزنا واللواط وكل قبيح اشتد قبحه وفحش حتى البخل ﴿والمنكر﴾ وهو كل ما أنكر الشرع وانكرته الفطر السليمة والعقول الراجحة السديدة ، وينهى عن البغي[2] وهو الظلم والاعتداء ومجاوزة الحد في الأمور كلها ، وقوله ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي أمر بهذا في كتابه رجاء أن تذكروا فتتعظوا فتمتثلوا الأمر وتجتنبوا النهي . وبذلك تكملون وتسعدون . ولذا ورد أن هذه الآية :[3] ﴿أن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾[4] إلى ﴿تذكرون﴾ هي أجمع آية في كتاب الله للخير والشر . وهي كذلك فما من خيرٍ إلا وأمرت به ولا من شرٍ إلا ونهت عنه . وقوله تعالى ﴿وأفوا بعهد الله اذا عاهدتم﴾ أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بالوفاء بالعهود فعلى كل مؤمن بايع إماماً أو عاهد أحداً على شيء أن يفي له بالعهد ولا ينقضه . «إذ لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له» كما في الحديث الشريف . . وقوله تعالى ﴿ولا تنقضوا[5] الأيمان بعد توكيدها﴾ الأيمان جمع يمين وهو الحلف بالله وتوكيدها تغليظها بالألفاظ الزائدة ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾ أي وكيلا ، أي أثناء حلفكم به تعالى ، فقد جعلتموه وكيلا ، فهذه الآية حرمت نقض الأيمان وهو نكثها وعدم الإلتزام بها بالحنث فيها لمصالح مادية.[6] وقوله

(١) الإحسان مصدر أحسن إحساناً وهو متعدّ بنفسه نحو: احسنت كذا إذا أتقنته وحسّنته وجوّدته ، ومتعدّ بحرف الجرّ نحو: أحسنت إلى فلان أي أوصلت إليه ما ينفعه أو دفعت عنه ما يضرّه ، وكلا المعنيين مراد في الآية وما في حديث جبريل يتناول الأول لأن من راقب الله تعالى أتقن عمله وحسنه .

(٢) ورد في البغي : لا ذنب أسرع عقوبة من البغي ، واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب ، والباغي مصروع وقد وعد الله من بُغي عليه بالنصر في قوله : ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب ثمّ بغى عليه لينصرنّه الله﴾ .

(٣) قال ابن مسعود رضي الله عنه : هذه الآية : أجمع آية في القرآن لخير يمتثل ولشرّ يجتنب .

(٤) روي أنّ جماعة رفعت شكوى بعاملها إلى أبي جعفر المنصور فحاجّها العامل فغلبها حيث لم يثبتوا عليه كبير ظلم ولا جور في شيء ، فقام فتى منهم وقال يا أمير المؤمنين : ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ وإنّه عدل ولم يحسن فعجب أبو جعفر المنصور من إصابته ، وعزل العامل .

(٥) هذا في الأيمان المؤكد بها الحلف في الجاهلية لقول الرسول ﷺ في حديث مسلم (لا حلف في الإسلام وأيّما حلف كان في الجاهلية فإنه لا يزيده الإسلام إلاّ شدة وأبطل ﷺ الحلف في الإسلام ، لأن الإسلام جاء بنصرة المظلوم وأخذ الحق له من الظالم كما هو مبيّن في شريعته .

(٦) أمّا إذا حلف العبد يمينا فرأى غيرها خيراً منها فإنه ينقض يمينه ويكفر كفّارة يمين لقوله ﷺ : (إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلاّ أتيت الذي هو خير وكفّرت عن يميني) .

تعالى ﴿إن الله يعلم[1] ما تفعلون﴾ فيه وعيد شديد لمن ينقض أيمانه بعد توكيدها. وقوله تعالى ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها﴾، وهى امرأة بمكة حمقاء[2] تغزل ثم تنكث[3] غزلها وتفسده بعد إبرامه وإحكامه فنهى الله تعالى المؤمنين أن ينقضوا أيمانهم بعد توكيدها فتكون حالهم كحال هذه الحمقاء. وقوله تعالى: ﴿تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم﴾ أي إفساداً وخديعة كأن تحالفوا جماعةً وتعاهدوها، ثم تنقضون عهدكم وتحلون ما أبرمتم من عهد وميثاق وتعاهدون جماعة أخرى لأنها أقوى وتنتفعون بها أكثر. هذا معنى قوله تعالى ﴿أن تكون أمة هي أربى من أمة﴾ أي جماعة أكثر من جماعة رجالاً وسلاحاً أو مالاً ومنافع. وقوله تعالى: ﴿إنما يبلوكم الله به﴾ أي يختبركم فتعرض لكم هذه الأحوال وتجدون أنفسكم تميل إليها، ثم تذكرون نهي ربكم عن نقض الأيمان والعهود فتتركوا ذلك طاعة لربكم أولا تفعلوا إيثاراً للدنيا عن الآخرة، ﴿وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ ثم يحكم بينكم ويجزيكم، المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.. وقوله تعالى ﴿ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ على التوحيد والهداية لفعل.. ولكن اقتضت حكمته العالية أن يهدي من يشاء هدايته لأنه رغب فيها وطلبها، ويضل من يشاء إضلاله لأنه رغب في الضلال وطلبه وأصر عليه بعد النهي عنه. وقوله تعالى: ﴿لتسألن﴾[4] أي سؤال توبيخ وتأنيب ﴿عما كنتم تعملون﴾ من سوء وباطل، ولازم ذلك الجزاء العادل من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا بمثلها وهم لا يظلمون.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات:**

١- بيان أجمع آية للخير والشر في القرآن وهي آية ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان..﴾ الآية (٩٠).

٢- وجوب العدل والإحسان وإعطاء ذوي القربى حقوقهم الواجبة من البر والصلة.

---

(١) هذه الجملة ذكرت علّة لتحريم نقض العهد فهي تحمل وعيداً شديداً وتهديداً كبيراً لمن ينقض العهد.

(٢) يقال لها ريطة بنت عمر وكانت تغزل طول النهار، وفي المساء إذا غضبت لحمقها تحلّ ما أبرمته من غزلها، فنهى الله تعالى المؤمنين أن يكونوا كهذه الحمقاء فيحلون ما يبرمون من عقود وعهود.

(٣) النكث والجمع أنكاث: وهو النقض والحل بعد الإبرام.

(٤) اللام دالة على قسم محذوف نحو: ﴿والله لتسألن﴾.

٣ـ تحريم الزنا واللواط وكل قبيح اشتد قبحه من الفواحش الظاهرة والباطنة .

٤ـ تحريم البغي وهو الظلم بجميع صوره وأشكاله .

٥ـ وجوب الوفاء بالعهود وحرمة نقضها .

٦ـ حرمة نقض الأيمان بعد توكيدها وتوطين النفس عليها لتخرج لغو اليمين .

٧ـ من بايع أميراً أو عاهد أحداً يجب عليه الوفاء ولا يجوز النقض والنكث لمنافع دنيوية أبداً .

وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ
هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ
وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ
مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ
أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

## شرح الكلمات :

**دخلاً بينكم** : أي لأجل الإفساد والخديعة .

**وتذوقوا السوء** : أي العذاب .

**ما عندكم ينفد** : يفنى وينتهي .

**وهو مؤمن** : أي والحال أنه عندما عمل صالحاً كان مؤمناً ، إذ بدون إيمان لا عمل يقبل .

**حياة طيبة** : في الدنيا بالقناعة والرزق الحلال وفي الآخرة هي حياة الجنة .

**بأحسن ما كانوا يعملون** : أي يجزيهم على كل أعمالهم حسنها وأحسنها بحسب الأحسن فيها .

## معنى الآيات :

مازال السياق في تربية المؤمنين أهل القرآن الذي هو تبيان كل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين. وقال تعالى لهم ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً﴾ أي خديعة ﴿بينكم﴾ لتتوصلوا بالأيمان إلى غرض دنيوي سافل، ﴿فتزل قدم[1] بعد ثبوتها﴾ بأن يقع أحدكم في كبيرة من هذا النوع، يحلف بالله بقصد الخداع والتضليل فتذوقوا السوء في الدنيا بسبب صدكم عن سبيل الله من تعاهدونهم أو تبايعونهم وتعطونهم أيمانكم وعهودكم ثم تنقضوها فهؤلاء ينصرفون عن الإسلام ويعرضون عنه بسبب ما رأوا منكم من النقض والنكث، وتتحملون وزر ذلك، ويكون لكم العذاب العظيم يوم القيامة. فإياكم والوقوع في مثل هذه الورطة، فاحذروا أن تزل قدم أحدكم عن الإسلام بعد أن رسخت فيه. وقوله: ﴿ولا تشتروا[2] بعهد الله ثمناً قليلاً﴾ وكل ما في الدنيا قليل وقوله تعالى إنما عند الله هو خير لكم قطعاً، لأن ما عندكم من مالٍ أو متاعٍ ينفد أي يفنى، ﴿وما عند الله باق﴾ لا نفاذ له، فاذكروا هذا ولا تبيعوا الغالي بالرخيص والباقي بالفاني، وقوله تعالى: ﴿ولنجزين الذين صبروا﴾ على عهودهم ﴿أجرهم﴾ على صبرهم ﴿بأحسن ما كانوا يعملون﴾ أي يضاعف لهم الأجر فيعطيهم سائر أعمالهم حسنها وأحسنها بحسب أفضلها وأكملها حتى يكون أجر النافلة، كأجر الفريضة وهذا وعد من الله تعالى لمن يصبر على إيمانه واسلامه ولا يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا قليل، ووعدٌ ثان في قوله: ﴿من عمل صالحاً من ذكرٍ وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه[3] حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ إلا أن أصحاب هذا الوعد هم أهل الإيمان والعمل الصالح، الإيمان الحق الذي يدفع إلى العمل الصالح، ولازم ذلك أنهم تخلوا عن الشرك والمعاصي، هؤلاء وعدهم ربهم بأنه يحييهم في الدنيا حياة طيبةً لا خبث فيها قناعة وطيب طعام[4] وشراب ورضا، هذا في

(١) هذه الجملة دلت على المبالغة في النهي اتخاذ الأيمان دخلا أي خديعة، إذ مَنْ وقع في ورطة يقال: زلت قدمه لأنّ القدم إذا زلت نقلت الإنسان من حال خير إلى حال شرّ.

(٢) نهى تعالى المؤمنين عن الرُشا وأخذ الأموال على نقض العهد أي: لا تنقضوا عهودكم لعرض قليل من الدنيا. روي أن امرؤ القيس بن عابس الكندي اختصم مع ابن أسوع في أرض فأراد امرؤ القيس أن يحلف فلمّا سمع هذه الآية نكل وأقر لخصمه بالأرض.

(٣) اختلف في معنى الحياة الطيّبة فقال بعضهم: هي الرزق الحلال، وقيل: هي القناعة وقيل: التوفيق إلى الطاعة الموجبة لرضوان الله تعالى، وقيل: هي حلاوة الطاعة، وقيل هي المعرفة بالله وصدق المقام بين يدي الله.

(٤) روى مسلم قول رسول الله ﷺ: (قد أفلح من أسلم ورُزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه).

الـدنيا وفي الآخـرة الجنة والجزاء يكون بحسب أحسن عمل عملوه من كل نوع، من الصلاة كأفضل صلاة وفي الصدقات بأفضل صدقة وهكذا. ﴿ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرتهم وآتنا ما وعدتهم إنك برٌّ رحيم.

## هداية الآيـات

### من هداية الآيـات:

١- حرمة اتخاذ الأيمان طريقاً إلى الغش والخديعة والإفساد.

٢- ما عند الله خير مما يحصل عليه الإنسان بمعصيته الرحمن من حطام الدنيا.

٣- عظم أجر الصبر على طاعة الله تعالى فعلاً وتركاً.

٤- وعد الصدق لمن آمن وعمل صالحاً من ذكرٍ وأنثى بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة.

فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ
فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ
عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا
سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ
﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

### شرح الكلمـات:

**فإذا قرأت القرآن**: أي أردت أن تقرأ القرآن.

**فاستعذ بالله من الشيطان**: أي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لحمايتك من وسواسه.

**إنه ليس له سلطان**: أي قوة وتسلط على إفساد الذين آمنوا وإضلالهم، ما داموا

متوكلين على الله .

**وإذا بدلنا آية مكان آية** : أي بنسخها وإنزاله آية أخرى غيرها لمصلحة العباد.

**قل نزله روح القدس** : أي جبريل عليه السلام .

**ليثبت الذين آمنوا** أي على إيمانهم .

**معنى الآيات :**

مازال السياق الكريم في هداية المسلمين وتكميلهم، فقوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن﴾ يا محمد أنت أو أحد من المؤمنين أتباعك ﴿فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ أي إذا كنت قارئا عازماً على القراءة فقل أعوذ بالله[1] من الشيطان الرجيم، فإن ذلك يقيك من وسواسه الذي قد يفسد عليك تلاوتك[2]، وقوله: ﴿إنه ليس له﴾ أي للشيطان ﴿سلطان﴾ يعني تسلط وغلبة وقهر ﴿على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ وهذه بشرى خير للمؤمنين ﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه﴾[3] بطاعته والعمل بتزيينه للشر والباطل،[4] ﴿والذين هم به[5] مشركون﴾. هؤلاء هم الذين يتسلط الشيطان عليهم فيغويهم ويضلهم حتى يهلكهم. وقوله تعالى: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ أي نسخنا حكماً بحكم آخر بآية أخرى قال المشركون المكذبون بالوحي الإلهي ﴿إنما أنت﴾ يا محمد ﴿مفترٍ﴾ تقول بالكذب والخرص، أي يقول اليوم شيئاً ويقول غداً خلافه. وقوله تعالى: ﴿والله أعلم بما ينزل﴾ فإنه ينزله لمصلحة عباده فينسخ ويثبت لأجل مصالح المؤمنين. وعلم الله تعالى رسوله كيف يرد على هذه الشبهة وقال له ﴿قل نزله روح القُدس[6] من ربك بالحق﴾ فلست أنت الذي تقول ما تشاء وإنما هو وحي الله وكلامه ينزل به جبريل عليه السلام من عند ربك بالحق الثابت عند الله الذي لا يتبدل ولا يتغير، وذلك لفائدة تثبيت الذين آمنوا على إيمانهم وإسلامهم.

---

(١) هذه كآية الوضوء: ﴿إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا..﴾ أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم على غير وضوء فاغسلوا وجوهكم أي: توضؤوا.

(٢) لقد صحت الأحاديث الكثيرة في أنّ النبي ﷺ كان يتعوّذ في صلاته قبل القراءة روي أن بعض السلف كان يتعوّذ بعد القراءة أخذاً بهذه الآية.

(٣) فائدة الاستعاذة قبل القراءة أن يحفظ المرء من أن يلبس عليه إبليس قراءته ويخلط عليه ويمنعه من التدبّر.

(٤) قيل في قوله تعالى: ﴿إنه ليس له سلطان﴾: أي أنه لا يوقعهم في ذنب لا يتوبون منه.

(٥) الضمير في ﴿به﴾ عائد إلى الشيطان ويصح عوده على الله تعالى.

(٦) روح القدس: جبريل عليه السلام: ﴿فقد نزل بالقرآن كله ناسخه ومنسوخه ما عدا الفاتحة فقد نزل بها ملك لم ينزل إلى الأرض قط) رواه مسلم.

فكلما نزل قرآن ازداد المؤمنون إيمانا فهو كالغيث ينزل على الأرض كلما نزل ازدادت حياتها نضرة وبهجة فكذلك نزول القرآن تحيا به قلوب المؤمنين، وهو أي القرآن هدىً من كل ضلالة. وبشرى لكل المسلمين بفلاح الدنيا وفوز الآخرة.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات:**

١- استحباب الاستعاذة عند قراءة القرآن بلفظ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

٢- بيان أنه لا تسلط للشيطان على المؤمنين المتوكلين على ربهم.

٣- بيان أن سلطان الشيطان على أوليائه العاملين بطاعته المشركين بربهم.

٤- بيان أن القرآن فيه الناسخ والمنسوخ.

٥- بيان فائدة نزول القرآن بالناسخ والمنسوخ وهي تثبيت الذين آمنوا على إيمانهم وهدى من الضلالة وبشرى للمسلمين بالفوز والفلاح في الدارين.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ
ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ
ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ
﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ
وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا
فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ

وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي
ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾

**شرح الكلمات :**

**بشــــر** : يعنون قيناً (حداداً) نصرانياً في مكة .

**لسان الذي يلحدون إليه** : أي يميلون إليه .

**وهذا لسان عربي** : أي القرآن فكيف يعلمه أعجمي .

**إلا من أكره** : أي على التلفظ بالكفر فتلفظ به .

**ولكن من شرح بالكفر صدرا** : أي فتح صدره الكفر وشرحه له فطابت نفسه له .

**وأولئك هم الغافلون** : أي عما يراد بهم .

**لا جــرم** : أي حقاً .

**هم الخاســرون** : أي لمصيرهم (١) إلى النار خالدين فيها أبدا .

**معنى الآيـات :**

ما زال السياق الكريم في الرد على المشركين الذين اتهموا الرسول ﷺ بالافتراء فقال تعالى : ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾ (٢) أي يعلم محمداً بشر أي انسان من الناس، لا أنه وحي يتلقاه من الله . قال تعالى في الرد على هذه الفرية وإبطالها ﴿لسان الذى يلحدون إليه﴾ أي يميلون إليه بأنه هو الذي يعلم محمد لسانه ﴿أعجمي﴾ (٣) لأنه عبدٌ رومي ، ﴿وهذا﴾ أي القرآن ﴿لسان عربي مبين﴾ ذو فصاحة وبلاغة وبيان فكيف

---

(١) أي : لكون مصيرهم إلى النار وأيّ خسران أعظم من خسران مَنْ دخل النار فخسر نفسه وأهله قال تعالى فيه : ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ .

(٢) اختلف في تعيين هذا الرجل فقيل : اسمه جبر ويكنى بأبي فكيهة ، وقيل : اسمه عايش ، وقيل : اسمه يعيش وكان روميًا وكان صيقليا يشحذ السيوف ويحليها وكان يجلس إليه النبي ﷺ أحياناً فقالوا قولتهم هذه .

(٣) العجمة : الإخفاء وضد البيان ورجل أعجم وامرأة عجماء أي لا يفصح ولا يبين ومنه عجب الذنب لاستتاره والعجماء البهيمة والأعجمى من لا يتكلم العربية .

يتفق هذا مع ما يقولون انهم يكذبون لا غير، وقوله تعالى ﴿إن الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾ وهي نورٌ وهدى وحججٌ قواطع، وبرهان ساطع ﴿لا يهديهم الله﴾ إلى معرفة الحق وسبيل الرشد لأنهم أعرضوا عن طريق الهداية وصدوا عن سبيل العرفان وقوله ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أي جزاء كفرهم بآيات الله. وقوله ﴿إنما يفتري[1] الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون﴾ أي إنما يختلق الكذب ويكذب فعلاً الكافر بآيات الله لأنه لا يرجو ثواب الله ولا يخاف عقابه، فلذا لا يمنعه شيء عن الكذب، أما المؤمن فإنه يرجو ثواب الصدق ويخاف عقاب الكذب فلذا هو لا يكذب أبداً، وبذا تعين أن النبي لم يفتر الكذب وإنما يفترى الكذب أولئك المكذبون بآيات الله وهم حقاً الكاذبون. وقوله تعالى: ﴿من كفر[2] بالله من بعد إيمانه إلا من أكره﴾[3] على التلفظ بالكفر ﴿وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ لا يخامره شك ولا يجد اضطراباً ولا قلقاً فقال كلمة الكفر لفظاً فقط، فهذا كعمار بن ياسر كانت قريش تكرهه على كلمة الكفر فأذن له الرسول ﷺ في قولها بلسانه ولكن المستحق للوعيد الآتي ﴿من شرح بالكفر صدراً﴾ أي رضي بالكفر وطابت نفسه وهذا وأمثاله ﴿فعليهم غضبٌ من الله ولهم عذابٌ عظيم﴾ أي باءوا بغضب الله وسخطه ولهم في الآخرة عذاب عظيم، وعلل تعالى لهذا الجزاء العظيم بقوله ﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ بكفرهم بالله وعدم إيمانهم به لما في ذلك من التحرر من العبادات، فلا طاعة ولا حلال ولا حرام. وقوله تعالى: ﴿وإن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ هذا وعيد منه تعالى سبق به علمه وأن القوم الكافرين يحرمهم التوفيق للهداية عقوبة لهم على اختيارهم الكفر وإصرارهم عليه. وقوله تعالى: ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم﴾ وعلى سمعهم وأبصارهم أولئك الذين توعّدهم الله بعدم هدايتهم هم الذين طبع على قلوبهم فهم لا يفهمون ﴿وسمعهم﴾ فهم لا يسمعون المواعظ ودعاء الدعاة إلى

---

(١) هذا جواب وصفهم النبي ﷺ بالكذب فأعلم تعالى أنّ الذي يفتري الكذب هو الكافر بآيات الله الكاذب الذي لا يعرف الصدق ابداً.

(٢) قوله: ﴿من كفر بالله بعد إيمانه﴾: عائد إلى قوله: ﴿إنما يفتري الكذب الذي لا يؤمنون بآيات الله﴾. وقوله: ﴿إلاّ من أكره﴾: نزلت في عمّار بن ياسر في قول أهل التفسير لأنه قارب أن يقول بعض ما طلبوه منه فرفع تعالى عنه الحرج وقال له الرسول ﷺ (أعطهم ياعمار) وهو تحت العذاب وقال ﷺ: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) واستثنى أهل العلم من أكره على قتل مؤمن أنه لايقتله، وليكن المقتول ولا يقتل فلا يفد نفسه بأخيه حتى مجرّد الضرب لا يضربه.

(٣) أهل العلم على أنّ المكره على الطلاق وعلى الحلف وعلى الحنث أنه لا شيء فيه.

الله تعالى ﴿وأبصارهم﴾ فهم لا يبصرون آيات الله وحججه في الكون، وما حصل لهم من هذه الحال سببه الإعراض المتعمد وإيثار الحياة الدنيا، والعناد، والمكابرة، والوقوف في وجه دعوة الحق والصد عنها. وقوله ﴿وأولئك هم الغافلون﴾ أي عمّا خلقوا له، وعما يراد لهم من نكال في الآخرة وعذابٍ أليم. وقوله تعالى ﴿لا جرم﴾ أي حقاً ﴿أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ المغبونون حيث وجدوا أنفسهم في عذاب أليم دائم لا يخرجون منه ولا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون.

## هداية الآيـات

**من هداية الآيـات:**

١ـ دفاع الله تعالى عن رسوله ودرء كل تهمةٍ توجه إلى رسول الله ﷺ.

٢ـ المكذبون بآيات الله يحرمون هداية الله، لأن طريق الهداية هو الإيمان بالقرآن. فلما كفروا به فعلى أي شيء يهتدون.

٣ـ المؤمنون لا يكذبون لإيمانهم بثواب الصدق وعقاب الكذب، ولكن الكافرين هم الذين يكذبون لعدم ما يمنعهم من الكذب إذ لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقابا.

٤ـ الرخصة[1] في كلمة الكفر في حال التعذيب بشرط اطمئنان القلب إلى الإيمان وعدم انشراح الصدر بكلمة الكفر.

٥ـ إيثار الدنيا على الآخرة طريق الكفر وسبيل الضلال والهلاك.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ

(١) وكذلك الرخصة في العتاق والطلاق والنكاح والحلف والحنث ما دام مكرهاً فلا يلزمه شيء لحديث: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) الحديث، وكذا من أكره على تسليم زوجته فلا شيء عليه إذ أكره ابراهيم على ذلك وعصمه الله تعالى ومن صبر على ما أكره به من الضرب والتعذيب فله ذلك فقد صبر عبد الله بن حذافة السهمي على ألوان من التعذيب والتهديد على يد ملك الروم حيث أسر مع جمع من المسلمين فعذب ما شاء الله أن يعذّب ثم أطلق الأسرى، وقبّل عمر رضي الله عنه رأسه إكراماً له واعترافاً بفضله لأنّ ملك الروم أخذ ما أكرهه عليه تقبيل رأسه فقبّله.

نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا
مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ
ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ
جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ
ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾

## شرح الكلمات :

**هاجروا** : أي إلى المدينة.

**من بعدما فتنوا** : أي فتنهم المشركون بمكة فعذبوهم حتى قالوا كلمة الكفر مكرهين.

**إن ربك من بعدها** : أي من بعد الهجرة والجهاد والصبر على الإيمان والجهاد.

**لغفورٌ رحيم** : أي غفورٌ لهم رحيم بهم.

**يوم تأتي** : أي اذكر يا محمد يوم تأتي كل نفسٍ تجادل عن نفسها.

**مثلاً قرية** : هي مكة.

**رزقها رغدا** : أي واسعاً.

**فكفرت بأنعم الله** : أي بالرسول والقرآن والأمن ورغد العيش.

**فأذاقها الله لباس الجوع** : أي بسبب قحطٍ أصابهم حتى أكلوا العهن لمدة سبع سنين.

**والخوف** : حيث أصبحت سرايا الإسلام تغزوهم وتقطع عنهم سبل تجارتهم.

## معنى الآيات :

بعدما ذكر الله تعالى رخصة كلمة الكفر عند الإكراه وبشرط عدم انشراح الصدر بالكفر ذكر مخبراً عن بعض المؤمنين، تخلفوا عن الهجرة بعد رسول الله ﷺ فلما أرادوا الهجرة منعتهم قريش وعذبتهم حتى قالوا كلمة الكفر، ثم تمكنوا من الهجرة فهاجروا و جاهدوا

وصبروا فأخبر الله تعالى عنهم بأنه لهم مغفرته ورحمته، فلا يخافون ولا يحزنون فقال تعالى ﴿ثم إن ربك﴾(١) أيها الرسول ﴿للذين هاجروا(٢) من بعدما فتنوا﴾ أي عُذِّبوا ﴿ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها(٣) لغفورٌ رحيم﴾ أي غفورٌ لهم رحيمٌ بهم.

وقوله تعالى: ﴿يوم(٤) تأتي كل نفسٍ تجادل عن نفسها﴾ أي اذكر ذلك واعظاً به المؤمنين أي تخاصم طالبةً النجاة لنفسها ﴿وتوفى كل نفسٍ ما عملت﴾ أي من خيرٍ أو شر ﴿وهم لا يظلمون﴾ لأن الله عدلٌ لا يجور في الحكم ولا يظلم. وقوله تعالى: ﴿وضرب الله مثلاً قرية(٥)﴾ أي مكة ﴿كانت آمنة﴾ من غارات الأعداء ﴿مطمئنة﴾ لا ينتابها فزعٌ ولا خوف، لما جعل الله تعالى في قلوب العرب من تعظيم الحرم وسكانه، ﴿يأتيها رزقها رغداً﴾ أي واسعاً ﴿من كل(٦) مكان﴾ حيث يأتيها من الشام واليمن في رحلتيهما في الصيف والشتاء ﴿فكفرت بأنعم الله﴾ وهي تكذيبها برسول الله ﷺ وإنكارها للتوحيد، وإصرارها على الشرك وحرب الإسلام ﴿فأذاقها الله لباس الجوع﴾ فدعا عليهم الرسول اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف السبع الشداد، فأصابهم القحط سبع سنوات فجاعوا حتى أكلوا الجِيفْ والعهن، وأذاقها لباس الخوف إذ أصبحت سرايا الإسلام تعترض طريق تجارتها بل تغزوها في عقر دارها، وقوله تعالى ﴿بما كانوا يصنعون(٧)﴾ أي جزاهم الله بالجوع والخوف بسبب صنيعهم الفاسد وهو اضطهاد المؤمنين بعد كفرهم وشركهم وإصرارهم على ذلك. وقوله تعالى: ﴿ولقد جاءهم رسولٌ منهم﴾ هو محمد ﷺ ﴿فكذبوه﴾ أي جحدوا رسالته وانكروا نبوته وحاربوا دعوته ﴿فأخذهم العذاب﴾ عذاب الجوع والخوف والحال أنهم ﴿ظالمون﴾ أي مشركون وظالمون لأنفسهم حيث عرضوها

---

(١) لمّا كانت الهجرة لله ولرسوله ﷺ قرن الله تعالى اسمه مع اسم نبيّه ﷺ فقال: ﴿ثم إنّ ربك﴾ أي بمغفرته ورحمته للذين هاجروا.

(٢) هاجروا أولا إلى الحبشة ثم إلى المدينة النبوية.

(٣) أي: من بعد الحال التي كانت أيام تعذيبهم وفتنتهم على يد المشركين.

(٤) جائز أن يكون الظرف متعلقاً بقوله: ﴿لغفور رحيم﴾ وجائز أن يكون معمولا لفعل محذوف تقديره: اذكر ومعنى تجادل: تخاصم وتحاج عن نفسها وفي الحديث: (أنّ كل نفس يوم القيامة تقول: نفسي نفسي) لشدة الهول.

(٥) هي مكة وكان النبي ﷺ قد دعا على أهلها فقال: (اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف) فابتلوا بالقحط حتى أكلوا العظام.

(٦) من البرّ والبحر، هذا كقوله تعالى: ﴿يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾.

(٧) وقيل: إنّ القرية هذه هي المدينة قالت هذا حفصة وعائشة زوجتا الرسول ﷺ وذلك لما قتل عثمان واشتد البلاء بأهل المدينة وعموم الآية ظاهر، وكونها مكة أظهر.

بكفرهم إلى عذاب الجوع والخوف.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات:**

١- فضل الهجرة والجهاد والصبر، وما تكفر هذه العبادات من الذنوب وما تمحو من خطايا.

٢- وجوب التذكير باليوم الآخر وما يتم فيه من ثوابٍ وعقاب للتجافي عن الدنيا والإقبال على الآخرة.

٣- استحسان ضرب الأمثال من أهل العلم.

٤- كفر النعم بسبب زوالها والانتقام من أهلها.

٥- تكذيب الرسول ﷺ في ما جاء به، ولو بالإعراض عنه وعدم العمل به يجر البلاء والعذاب.

فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا
وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ
أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ
ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ
مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

## شرح الكلمـات :

**فكـــــلوا** : أي أيهـا النـاس.

**حـلالاً طيباً** : أي غير حرام ولا مستقذر.

**واشكروا نعمة الله عليكم** : أي بعبادته وحده وبالانتهاء إلى ما أحل لكم عما حرمه عليكم.

**إن كنتم إياه تعبدون** : أي إن كنتم تعبدونه وحده فامتثلوا أمره، فكلوا مما أحل لكم وذروا ما حرم عليكم.

**الميتــــة** : أي ما مات من الحيوان حتف أنفــه من غير تذكية شرعية.

**والــــدم** : أى الدم المسفوح السائل لا المختلط باللحم والعظم.

**وما أهـل لغير الله به** : أي ما ذكر عليه غير اسم الله تعالى.

**غير باغٍ ولا عاد** : أي غير باغ على أحد، ولا عادٍ أي متجاوز حد الضرورة.

**ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب** : أي لا تحللوا ولا تحرموا بألسنتكم كذباً على الله فتقولوا هذا حلال وهذا حرام بدون تحليل ولا تحريم من الله تعالى.

**وعلى الذين هادوا** : أي اليـهــود.

**حرمنا ما قصصنا عليك من قبل** : أي في سـورة الأنعـــام.

## معنى الآيـات :

امتن الله عز وجـل على عباده، فأذن لهم أن يأكلوا مما رزقهم من الحلال الطيب ويشكروه على ذلك بعبادته وحده وهذا شأن من يعبد الله تعالى وحده، فإنه يشكره على ما أنعم به عليه، وقوله تعالى: ﴿إنما حرم[1] عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ فلا تحرموا ما لم يحرم عليكم كالسائبة والبحيرة والوصيلة التي حرمها المشركون افتـراء على الله وكذبا. وقوله ﴿فمن اضطر﴾ منكم أي خاف على نفسه ضرر الهلاك بالموت لشدة الجوع وكان ﴿غير باغ﴾ على أحد ولا معتدٍ ما أحل له إلى ما حرم عليه

(١) هذه الجملة بيان لمضمون جملة: ﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا﴾ لتمييز الطيبَ من الخبيث وذكر تعالى هنا أربع محرمات وهي عشر جاءت في سورة المائدة إلاّ أنَّ هذه الأربعة هي الأصول وما دونها تابع لها: المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة وما أكل السبع وما ذُبح على النصب فالخمسة الأولى تابعة للميتة والسادسة تابعة لما أهل به لغير الله.

فليأكل ما يدفع به غائلة الجوع ولا إثم عليه ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ فيغفر للمضطر كما يغفر للتائب ويرحم المضطر فيأذن له في الأكل دفعاً للضرر رحمة به كما يرحم من أناب إليه.

وقوله: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب[1] هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب﴾ أي ينهاهم عن التحريم والتحليل من تلقاء أنفسهم بأن يصفوا الشيء بأنه حلالٌ أو حرامٌ لمجرد قولهم بألسنتهم الكذب: هذا حلال وهذا حرام كما يفعل المشركون فحللوا وحرموا بدون وحي إلهي ولا شرع سماوي. ليؤول قولهم وصنيعهم ذلك الى الإفتراء على الله والكذب عليه. مع أن الكاذب على الله لا يفلح أبداً لقوله ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل[2]﴾ وإن تمتعوا قليلاً في الدنيا بمالٍ أو ولد أو عزةٍ وسلطان فإن ذلك متاع قليل جداً ولا يعتبر صاحبه مفلحاً ولا فائزاً. فإن وراء ذلك العذاب الأخروي الأليم الدائم الذي لا ينقطع. وقوله تعالى: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل﴾ يخاطب الله تعالى رسوله فيقول: كما حرمنا على هذه الأمة المسلمة الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، حرمنا على اليهود ما قصصنا عليك من قبل في سورة الأنعام. إذ قال تعالى ﴿وعلى الذين[3] هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم﴾. وحرم هذا الذي حرم عليهم بسبب ظلمٍ منهم فعاقبهم الله فحرم عليهم هذه الطيبات التي أحلها لعباده المؤمنين. ولذا قال تعالى ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾.

## هداية الآيـات

**من هداية الآيـات:**

**١ ـ يجب مقابلة النعم بالشكر فمن غير العدل أن يكفر العبد نعم الله تعالى عليه فلا يشكره عليها بذكره وحمده وطاعته بفعل محابه وترك مساخطه.**

---

(١) ﴿الكذب﴾ منصوب على المفعولية المطلقة أي: مطلق الكذب.

(٢) جملة: ﴿متاع قليل﴾ جملة بيانية في جواب قول من قال: كيف لا يفلحون وهم يمتعون بالطعام والشراب والنساء والأموال؟ فأجيب بأنّ هذا متاع قليل جدّاً بالنظر إلى ما في الآخرة.

(٣) تقديم الجار والمجرور: ﴿وعلى الذين هادوا حرّمنا﴾ للاهتمام وللاشارة إلى أنّ ذلك التحريم كان انتقاما منهم ولم يكن شرعاً لإكمالهم وإسعادهم.

٢ـ بيان المحرمات من المطاعم وهي الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله .

٣ـ بيان الرخصة في الأكل من المحرمات المذكورة لدفع غائلة الموت .

٤ـ حرمة التحريم والتحليل بغير دليل شرعي قطعي لا ظني إلا ما غلب على الظن تحريمه .

٥ـ حرمة الكذب على الله وأن الكاذب على الله لا يفلح في الآخرة وفلاحه في الدنيا جزئي قليل لا قيمة له . . هذا إن أفلح .

٦ـ قد يحرم العبد النعم بسبب ظلمه فكم حرمت أمة الإسلام من نعم بسبب ظلمها في عصور انحطاطها .

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ
﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ
مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ
ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا
كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

**شرح الكلمات :**

**ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة** : أي ثم إن ربك غفورٌ رحيمٌ للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا .

**من بعدها** : أي من بعد الجهالة والتوبة .

**إن إبراهيم كان أمة** : أي إماماً جامعاً لخصال الخير كلها قدوة يقتدى به في ذلك.

**قانتاً لله حنيفاً** : أي مطيعاً لله حنيفًا : مائلاً إلى الدين القيم الذي هو الإسلام.

**اجتبــاه** : أي ربه اصطفاه للخلة بعد الرسالة والنبوة.

**وآتيناه في الدنيا حسنة** : هي الثناء الحسن من كل أهل الأديان السماوية.

**إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه** : أن اليهود أمروا بتعظيم الجمعة فرفضوا وأبوا إلا السبت ففرض الله عليهم ذلك وشدد لهم فيه عقوبة لهم.

## معنى الآيات:

بعدما نددت الآيات في سياق طويل بالشرك وإنكار البعث والنبوة من قبل المشركين الجاحدين المعاندين، وقد أوشك سياق السورة على الانتهاء فتح الله تعالى باب التوبة لهم وقال: ﴿ثم إن ربك﴾ أي بالمغفرة والرحمة ﴿للذين عملوا السوء بجهالةٍ﴾[1] فأشركوا بالله غيره وأنكروا وحيه وكذبوا بلقائه ﴿ثم تابوا من بعد ذلك﴾ فوحدوه تعالى بعبادته وأقروا بنبوة رسوله وآمنوا بلقائه واستعدوا له بالصالحات ﴿وأصلحوا﴾ ما كانوا قد أفسدوه من قلوبهم وأعمالهم وأحوالهم ﴿إن ربك من بعدها﴾[2] من بعد هذه التوبة والأوبة الصحيحة ﴿لغفور رحيم﴾ بهم. فكانت بشرى لهم على لسان كتاب ربهم. وقوله تعالى: ﴿إن إبراهيم[3] كان أمة[4] قانتاً لله حنيفاً، ولم يك من المشركين. شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراطٍ مستقيم. وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين. ثم أوحينا إليك أن اتبع[5] ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ إنه لما كان من شبه المشركين انهم على دين أبيهم ابراهيم باني البيت وشارع المناسك ومحرم الحرم، واليهود والنصارى كذلك يدعون أنهم على ملة إبراهيم فأصر الجميع على أنه متبع لملة إبراهيم وأنه على دينه ورفضوا الإسلام بدعوى ما هم عليه هو دين الله الذي جاء به إبراهيم أبو الأنبياء عليه

---

(١) الجهالة: انتفاء العلم بما يجب أن يعلم، والمراد بجهالتهم: جهالتهم بأدلة الشرع المحرّمة للشرك والكفر والفساد، والموجبة للتوحيد وطاعة الله ورسوله. والباء: في ﴿بجهالة﴾: للملابسة وهي في موضع الحال من ضمير عملوا.

(٢) وجائز أن يعود الضمير على الجهالة أيضاً كما جائز أن يعود على التوبة.

(٣) ﴿إنّ ابراهيم﴾؛ هذه الجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائيا لغرض التنويه بدين الإسلام الذي هو دين ابراهيم من قبل.

(٤) الأمّة: الجامع للخير، والقانت: المطيع لله تعالى، والحنيف: المائل إلى الحق المجانب للباطل.

(٥) في الآية الدليل على جواز اتباع الأفضل للمفضول ولا تبعة على الفاضل أي: لا غضاضة عليه ولا مساس بمقامه.

السلام، ومن باب إبطال الباطل وإزاحة ستار الشبه وتنقية الحق لدعوة الحق والدين الحق ذكر تعالى جملةً من حياة إبراهيم الروحية والدينية كمثال حي ناطق لكل عاقل إذا نظر إليه عرف هل هو متبع لإبراهيم يعيش على ملته أو هو على غير ذلك. فقال تعالى ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ (١) أي إماماً صالحاً جامعاً لخصال الخير، يقتدي به كل راغب في الخير. هذا أولاً وثانياً أنه كان قانتاً أي مطيعاً لربه فلا يعصي له أمراً ولا نهياً ثالثاً لم يك من المشركين بحالٍ من الأحوال بل هو بريء من الشرك وأهله، ورابعاً كان شاكراً لأنعم الله تعالى عليه أي صارفاً نعم الله عليه فيما يرضي الله، خامساً اجتباه ربه أي اصطفاه لرسالته وخلته لأنه أحب الله أكثر من كل شيء فتخلل حب الله قلبه فلم يبق لغيره في قلبه مكان. فخالّه الله أي بادله خلة بخلّة فكان خليل الرحمن. سادساً وهداه إلى صراط مستقيم الذي هو الإسلام، سابعاً وآتاه في الدنيا حسنة وهي الثناء الحسن والذكر الجميل من جميع أهل الأديان الإلهية الأصل. ثامناً وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين قال الله تعالى فيهم: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهي منزلة من أشرف المنازل وأسماها. تاسعاً مع جلالة قدر النبي محمد ﷺ ورفعة مكانته أمره الله تعالى أن يتبع ملة إبراهيم حنيفاً.

هذا هو إبراهيم فمن أحق بالنسبة إليه، المشركون؟ لا ! اليهود؟ لا، النصارى؟ لا! المسلمون الموحدون؟ نعم نعم اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرتهم وأكرمنا يوم تكرمهم.

وقوله تعالى: ﴿انما جعل السبت (٢) على الذين اختلفوا فيه﴾ فيه دليل على بطلان دعوى اليهود أنهم على ملة إبراهيم ودينه العظيم، إذ تعظيم السبت لم يكن من دين إبراهيم،

---

(١) قال مالك: بلغني أنّ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: يرحم الله معاذاً كان أمّة قانتاً فقيل له: يا أبا عبدالرحمن إنّما ذكر الله عزّ وجلّ بهذا إبراهيم عليه السلام فقال عبدالله: (إن الأمة الذي يعلّم الناس الخير وإنّ القانت: هو المطيع).

(٢) أي: لم يكن في شرع ابراهيم ولا من دينه، إذ كان دين ابراهيم سمحاً لا تغليظ فيه والسبت تغليظ على اليهود في ترك الأعمال وترك التبسّط في المعاش بسبب اختلافهم فيه أي: اختلفوا في يوم الجمعة بعدما أمروا بتعظيمه فأبت اليهود إلاّ السبت بدعوى أنّ الله فرغ من الخلق فيه. واختار النصارى الأحد: لأنّ الله ابتدأ الخلق فيه، وهدى الله أمّة الإسلام ليوم الجمعة الذي اختلفوا فيه ففي البخاري يقول ﷺ: (نحن الآخرون الأوّلون يوم القيامة، ونحن أوّل من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فيه فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له (يوم الجمعة).

وإنما سببه أن الله تعالى أوحى إلى أحد أنبيائهم أن يأمر بني إسرائيل بتعظيم الجمعة فاختلفوا في ذلك وآثروا السبت عناداً ومكابرة فكتب الله عليهم تعظيم السبت. وقوله ﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ فيه وعيد لهم وأنه سيجزيهم سوءاً على تمردهم على أنبيائهم واختلافهم عليهم.

## هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ باب التوبة مفتوح لكل ذي ذنبٍ عَظُم أو صغُر على شرط صدق التوبة بالإقلاع الفوري والندم والاستغفار الدائم وإصلاح الفاسد.

٢ـ تقرير التوحيد والإعلان عن شأن إبراهيم عليه السلام وبيان كمالاته وانعام الله عليه.

٣ـ بيان أن سبت اليهود هو من نقم الله عليهم لا من نعمه وافضاله عليهم.

ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ
وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ
لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ
﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

## شـرح الكلـمات :

**إلى سبيل ربك** : أي إلى طاعته إذ طاعة الله موصلة إلى رضوانه وإنعامه فهي سبيل الله.

**بالحكمـــة** : أي بالقرآن والمقالة المحكمة الصحيحة ذات الدليل الموضح للحق.

**والموعظة الحسنة** : هي مواعظ القرآن، والقول الرقيق الحسن.

**وجادلهم بالتي هي أحسن : أي بالمجادلة التي هي أحسن من غيرها.**
**لهو خيرٌ للصابرين : أي خيرٌ من الإنتقام عاقبةً.**
**ولا تك في ضيقٍ مما يمكرون : أي لا تهتم بمكرهم، ولا يضيق صدرك به.**
**مع الذين اتقوا : أي اتقوا الشرك والمعاصي.**
**والذين هم محسنون : أي في طاعة الله، ومعيته تعالى هي نصره وتأييده لهم في الدنيا.**

## معنى الآيات :

يخاطب الرب تعالى رسوله تشريفاً وتكليفاً: ﴿ادع الى سبيل ربك﴾[1] أي إلى دينه وهو الإسلام سائر الناس، وليكن دعاؤك ﴿بالحكمة﴾ التي هي القرآن الكريم الحكيم ﴿والموعظة الحسنة﴾ وهي مواعظ القرآن وقصصه وأمثاله، وترغيبه وترهيبه، ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ أي خاصمهم بالمخاصمة التي هي أحسن وهي الخالية من السب والشتم والتعريض بالسوء، فإن ذلك أدعى لقبول الخصم الحق وما يدعي إليه، وقوله تعالى: ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾ من الناس ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ وسيجزيهم المهتدي بهداه، والضال بضلاله، كما هو أعلم بمن ضل واهتدى أزلاً. فهون على نفسك ولا تشطط في دعوتك فتضر بنفسك، والأمر ليس إليك. بل لربك يهدي من يشاء ويضل من يشاء وما عليك إلا الدعوة بالوصف الذي وصف لك، بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وقوله تعالى ﴿وإن عاقبتم[2] فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ لا أكثر، ﴿ولئن صبرتم﴾ وتركتم المعاقبة ﴿لهو﴾ أي صبركم ﴿خيرٌ﴾ لكم من المعاقبة على الذنب والجناية، وقوله تعالى: ﴿واصبر﴾ على ترك ما عزمت عليه أيها الرسول من التمثيل بالمشركين جزاء تمثيلهم بعمك حمزه، فأمره بالصبر ولازمه ترك المعاقبة والتمثيل معاً، وقوله: ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ أي إلا بتوفيقه وعونه، فكن مع ربك

(١) قال القرطبي : هذه الآية نزلت بمكة في وقت مهادنة قريش، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلّطف ولين دون مخاشنة وعُنف، وهكذا ينبغي أن يدعو المسلمون إلى يوم القيامة.

(٢) جمهور المفسرين على أن هذه الآية: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا...﴾ الخ نزلت بالمدينة في شأن قتل حمزة والتمثيل به رضي الله عنه وأرضاه يوم أحد ذكر ذلك البخاري وغيره وفي الآية دليل على وجوب المماثلة في القصاص ويحرم عدمها. وفي الآية دليل لمن قال بجواز أخذ مال من أخذ مال غيره إذا لم يتمكن منه بعلمه ورضاه على شرط ان لا يأخذ أكثر مما أخذ منه.

تستمد منه الصبر كما تستمد منه العون والنصر. وقوله تعالى: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي على عدم اهتدائهم إلى الحق والأخذ به والسير في طريقه الذي هو الإسلام ﴿ولا تك في ضيق[1]﴾ نفسي يؤلمك ﴿مما يمكرون﴾ بك فإن الله تعالى كافيك مكرهم وشرهم إنه معك فلا تخف ولا تحزن لأنه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأنت منهم. وقوله: ﴿إن الله مع الذين[2] اتقوا والذين هم محسنون﴾ يخبر تعالى رسوله والمؤمنين أنه عز وجل بنصره وتأييده ومعونته وتوفيقه مع الذين اتقوا الشرك والمعاصي فلم يتركوا فرائض دينه، ولم يغشوا محارمه والذين هم محسنون في طاعة ربهم إخلاصاً في النية والقصد، وأداءً على نحو ما شرع الله وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

## هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- وجوب الدعوة إلى الله تعالى أي إلى الإسلام وهو واجب كفائي، إذا قامت به جماعة أجزأ ذلك عنهم.

٢- بيان أسلوب الدعوة وهو أن يكون بالكتاب والسنة وأن يكون خالياً من العنف والغلظة والشدة، وأن تكون المجادلة بالتي هي أحسن من غيرها.

٣- جواز المعاقبة بالأخذ بقدرما أخذ من المرء، وتركها صبراً واحتساباً أفضل.

٤- معية الله تعالى ثابتة لأهل التقوى والإحسان، وهي معية نصرٍ وتأييد وتسديد.

---

(١) الضيق والضَيق: بالكسر والفتح، يقال: في صدره ضيق وضِيق بالكسر والفتح، وقيل: الضيق بالفتح في الصدر، والضيق بالكسر في الدار والثوب ونحوهما.

(٢) قيل: لهرم بن حبان عند موته: أوصنا فقال: أوصيكم بآيات الله وآخر سورة النحل: ﴿ادع إلى سبيل ربك..﴾ إلى ﴿محسنون﴾.